ويتكون من تسعة مباحث :
المبحث الأول : مواقف الإمــام ابن عبد الهــادي ، العملية والقولية في الرد على الصوفية 0
المبحث الثاني : مواقف الإمام محمد ابن الإمام ، العملية والقولية في الرد على الصوفية 0
المبحث الثالث : مواقف الإمام الذهبي ، العملية والقولية في الرد على الصوفية 0
المبحث الرابع : مواقف الإمــــــــام ابن مفلح ، العملية والقولية في الرد على الصوفية 0
المبحث الخــــامس : مواقف الإمــــام ابن قاضي الجبل ، العملية والقولية في الرد على الصوفية 0
المبحث الســـادس : مواقف الإمــــام ابن كثـــير ، العملية والقولية في الرد على الصوفية0
المبحث الســـابع: مواقف الإمــــام الشـــاطبي ، العملية والقولية في الرد على الصوفية 0
المبحث الثـــامن: مواقف الإمــــام ابن أبي العز الحنفي ، العملية والقولية في الرد على الصوفية 0
المبحث التاسع : مواقف الإمــــــــام ابن رجب الحنبلي ، العملية والقولية في الرد على الصوفية 0

تمهيــد:

لم أترجم في هذا الفصل ، إلا للعلماء المكثرين في الرد على الصـوفية ، أما العلمـاء المقلـون في الـرد ، فلم أتـرجم لهم في هـذا الموضع ، وإنما تـــرجمت لهم عند أول ذكر لهم في ثنايا الرســـالة ؛ وذلك لأن ردودهم لا يمكن أن تفرد لقلتها 0

أما شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه الإمام ابن القيم ، فلم أترجم لهم في هــذا الفصــل، ولم اســتعرض أقوالهما هنا ؛ لأنه ســبق بحث

جهودهما وردودهما على الصـــوفية، برســـائل علمية مســـتقلة ، وقد بينت ذلك في مقدمة الرسالة [1] 0

المبحث الأول: ترجمة مــوجزة للإمــام ابن عبد الهــادي ، ومواقفه العملية[2] والقولية ، في الرد على الصوفية 0

المطلب الأول : ترجمة موجزة للإمام ابن عبد الهادي 0

1- اسمه ونسبه :

محمد بن أحمـد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الجمـــــــاعيلي الأصل ، ثم الصالحي [3]

2- مولــده :

ولد الإمام ابن عبد الهادي ، في رجب سنة 704هـ

وقيل في سنة 705هـ [4]

3- مؤلفاته: للإمام ابن عبد الهادي عدد من المؤلفـات منها : كتـاب في الأحكــام في ثمــان مجلــدات ، والصــارم المنكي في الــرد على السبكي ، والمحرر في الحـديث ، واختصر التعليق لابن الجـوزي وزاد عليه وحـرره ، وشـــرح التسـهيل في مجلـدين ، والعقـود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميه[5]

4- عقيدته وثناء العلماء عليه :

الإمام ابن عبد الهادي سلفي العقيدة ، وعلى مذهب أهل السنة والجماعة0

قال الإمام الذهبي : « 000الإمام الأوحد الحافظ ، ذو الفنون شـمس الـدين محمد بن أحمد بن عبد الهـادي 000 اعتـنى بالرجـال والعلل ، وبرع وجمع ، وتصـدى للإفـادة والاشـتغال ، في القـراءات ، والحديث ، والفقه ، والأصول، والنحو ، وله توسع في العلوم ، وذهن سيال »[6]

---

1 - انظـــر : ص 7

2 - يعد التأليف من أبرز المواقف العملية لكثير من علماء السلف في القـرن الثـامن الهجـري ، في الـرد على الصوفية

3 - الذيـل على طبقات الحنابلة ، 4/ 436 ، والدرر الكامنة ، 3/ 331 ، والرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيميه شيخ الإسلام كافر ، تأليف ابن ناصر الدين الدمشقي ، حققه : زهير الشاويش ، ط3، (لبنان بيروت : المكتب الإسلامي ، 1411هـ) ، ص63

4 - الذيل على طبقات الحنابلة ، 4/436 ، والدرر الكامنة ، 3/331

5 - الذيل على طبقات الحنابلة ، 4/ 437- 438 ، والدرر الكامنة ، 3/332

6 - تذكرة الحفاظ ، 4/ 202

وقال ابن رجب : « عني - ابن عبد الهادي - بالحديث وفنونه ، ومعرفة الرجال والعلل ، وبرع في ذلك ، وتفقه على المذهب وأفتى ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيميه مدة »[1] 000

وقال ابن ناصر الدين[2] : « كان إماماً في علوم : كالتفسير ، والقراءات، والحديث ، والأصول ، والفقه ، واللغة العربية »[3]

5- وفـاته :

توفي الإمام ابن عبد الهادي ، في عاشر جمادى الأولى ، سنة 744هـ [4] 0

الطلب الثـاني : مواقف ابن عبد الهـادي العملية والقولية في الرد على الصوفية0

تستند أغلب ردود الإمام ابن عبد الهادي ، العملية والقولية ، على الصوفية ، على مارد به عليهم شيخه ، شيخ الإسـلام ابن تيميه ، ومن تلك الـردود ما نقله ابن عبد الهـادي ، تحت عنـوان : " مواقف الشيخ - يعني ابن تيميه - في إبطال حيل أهل الطر الدجالين ، فقـال :

« وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى من هذه السنة - سـنة خمس وسبعمائة- اجتمع جماعة من الأحمدية الرفاعية ، عند نائب السلطان بالقصر ، وحضر الشيخ تقي الدين ، وطلبـوا أن يسـلّم إليهم حـالهم ، وأن الشـيخ تقي الـدين لا يعارضـهم ، ولا ينكر عليهم ، وأرادوا أن يظهـروا شـيئاً مما يفعلونه ، فانتـدب لهم الشـيخ ، وتكلم باتبـاع الشريعة ، وأنه لا يسع أحـداً الخـروج عنها بقـول ولا فعل ، وذكر لهم حيلاً يتحيلون بها في دخول النار وإخراج الزّبد من الحلوق0

وقال لهم : من أراد دخول النار فليغسل جسده في الحمام ، ثم يدلكه بالخل ، ثم يدخل النار ، ولو دخل لا يلتفت إلى ذلك ، بل هو نوع من فعل الدجال عندنا ، وكانوا جمعاً كثيراً 0

وقال الشيخ صالح [5] : نحن أحوالنا تنفق عند التتار ، ما تنفق قدام الشرع 0

---

[1] - ذيل طبقات الحنابلة ، 4/ 436

[2] - محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي الشافعي ، الشهير بابن ناصر الدين ، محدث حافظ مؤرخ ناظم ، ولد بدمشق ، في أواسط المحرم وبها نشأ ، وتوفي في 16 رجب سنة 845هـ (معجم المؤلفين ،9/112)

[3] - الرد الوافر ، ص 63

[4] - تذكرة الحفاظ 4/ 202 ، والدرر الكامنة ، 4/ 432

[5] - لم أقف على ترجمته

وانفصل المجلس على أنهم يخلعون أطواق الحديد ، وعلى أن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت رقبته »[1]

هـذا موقف من مواقف شـيخ الإسـلام ابن تيميه ، العملية والقولية ، ذكـره الإمـام ابن عبد الهـادي ، في الـرد على الصـوفية ، وبيـان أبـاطيلهم - المخالفة لمنهج السـلف ، واعتقـاد أهل السـنة والجماعة - الـــتي لا تنطلي إلا على من ليس له حظ ، من العلم الشرعي0

ثم ذكر موقفاً آخر لشيخه في مواجهة الصوفية ، فنقل القول أنه: «000 أقام بمصر يقرئ العلم ويجتمع عنـده خلق ، إلى أن تكلم في الاتحادية ، القـائلين بوحـدة الوجـود ، وهم : ابن سـبعين ، وابن عربي ، والقونوي ، وأشباههم ، فتحزب عليه صوفية الفقراء ، وسعوا فيه ، وأنه تكلم في صـفوة الأوليـاء ، فعمل له محفل ، ثم أخرجـوه على البريد»[2]

وقد أشاد الإمام ابن عبد الهادي ، بمن تصدى للصوفية ، وبين ضلالهم ، وانحرافهم عن الصراط المستقيم ، فقال في الشـيخ عمـاد الدين : « منهم - من أصـحاب شـيخ الإسـلام - الإمـام القـدوة الزاهد العارف عماد الدين أبو العباس أحمد 000 الواسطي المعـروف بـابن شيخ الحزاميين ، كان رجلاً صالحاً ورعاً ، كبير الشـأن 000 كـان قد كتب رسالة وبعثها إلى جماعة من أصحاب الشيخ 000»[3]

ذكرها ابن عبد الهادي بتمامها ، ومنها : « 000و أنتم في مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقـراء والصـوفية ، من قـولهم بـالحلول والاتحاد وتأله المخلوقات 000»[4]

فعلق ابن عبد الهادي على نهاية الرسالة بقوله : « فرحم الله من قـام بحمل الإصـرار ، وتصـحيح التوبة النصـوح بالاسـتغفار ، إلى عـالم الأسـرار ، نفع الله من وقف عليها ، وأصـغى إلى ما يفتح منها ولديها ، آمـــين»[5]

وقال ابن عبد الهادي ، في ما يفعله الجهال ، من بدع عند زيارة القبور ، وتعظيم الأمـوات : « وقد آل الأمر بكثـير من الجهـال ، إلى

---

[1] - العقود الدرية ، ص 194-195 ، والبداية والنهاية ، 14/ 445
[2] - العقود الدرية ، ص 197
[3] - العقود الدرية ، ص 290
[4] - العقود الدرية ، ص 303
[5] - العقود الدرية ، ص 321

النحر عند قبـور من يشـدون الرحـال إلى قبـورهم ، وحلق رؤوسـهم عند قبورهم »[1]
فوصفهم أنهم : عباد قبور [2] 0

هذه ردود العـالم السـلفي ، الإمـام ابن عبد الهـادي ، على الصـوفية، اتسـمت بـالالتزام بمنهج الشـرع الحـنيف ، والنقل عن من يؤمن سلامة اعتقاده ، والله - تعالى أعلم - 0

[1] - الصارم المنكي ، ص 339
[2] - انظر : الصارم المنكي ، ص 339

المبحث الثاني : ترجمة موجزة للإمـام محمد ابن الإمـام ، ومواقفه العملية والقولية ، في الرد على الصوفية0

المطلب الأول: ترجمة موجزة للإمام محمد ابن الإمام 0

1- اسمه ونسبه :

محمد بن محمد بن علي بن هُمـام - بالضم والتخفيف - بن راجي الله بن سرايا بن ناصر بن داود العسقلاني الأصل ، المصري ، المعروف بابن الإمام الشافعي ، أبو الفتح تقي الدين بن تاج الدين [1]

2- مولده :

ولد ابن الإمام ، في شعبان سنة 677هـ [2]

3- مؤلفاته :

سلاح المؤمن في الدعاء والذكر ، وقد اشتهر هذا الكتاب ، حتى أصــبح يــذكر للتعريف بمؤلفه ، وله كتــاب في الاهتــداء في الوقف والابتداء ، وكتاب متشابه القرآن [3]

---

[1] - طبقـات الشـافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شـهبه ، رتب فهارسه د: عبد الله أنيس الطباع ، ط1، (بيروت : عالم الكتب ، 1407هـ) ، 3/65 و طبقـات الشـافعية للأسـنوي تحقيق كمـال يوسف الحوت ، ط1،(لبنان : بيروت،دار الكتب العلمية ، 1407هـ) ، 2/ 146 ، والسير 22/ 362 ، والدرر الكامنة 4/ 203 ، وشذرات الذهب ، 6/ 144

[2] -- الدرر الكامنة ، 4/ 203 ، وشذرات الذهب ، 6/ 144

[3] - الدرر الكامنة ، 4/ 203 ، وشذرات الذهب ، 6/ 144 ، وسلاح المؤمن ، ص 12

4- عقيدة وثناء العلماء عليه :

وصفه الإمام الذهبي بالإمام ، فقال عنه : «الإمام البارع»[1]

وقال ابن قاضي شهبه[2] : « سمع من جماعة ، وكان إماماً بالجامع الصالحي 000 وصنف كتاباً حسناً في الأذكار والأدعية »[3] 0

ولم أقف على ما يقدح بعقيدته 0

5- وفاتــه :

توفي ابن الإمام في ربيع الأول سنة 745هـ [4]

المطلب الثــاني : مواقف ابن الإمــام ، العملية والقولية في الرد على الصوفية :

1- فائدة الدعاء :

أظهر ابن الإمام في رده على الصوفية وغيرهم ، بيان فائدة الدعاء ، فقـال : « قـال الغـزالي - رحمه الله - في كتـاب " الإحيـاء"[5] ، فإن قلت : فما فائدة الدعاء ، والقضاء لا مرد له ؟

فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء ، والدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة ، كما أن الترس سبب لـرد السـهم ، والمـاء سـبب لخـروج النبـات من الأرض ، وكما أن الـترس يـدفع السـهم فيتـدافعان ، فكـذلك الـدعاء والبــلاء يتعالجـان ، وليس من شـرط الاعـتراف بقضــاء الله - عز وجــل- أن لا يُحمل السـلاح 000وأن لا تسقى الأرض بعد نبت البذور0

---

1 - السير ، 22/ 362

2 - أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب الأسـدي الشـافعي ، المعـروف بـابن قاضي شـهبة ، من مؤلفاته : كتاب في الفرائض ، وطبقات الشافعية ، توفي بدمشق سنة 790هـ 0 (معجم المؤلفين ، 2/140)

3 - طبقات الشافعية ، 3/66 ، و شذرات الذهب ، 6/ 144

4 - السير ، 22/ 362 ، والدرر الكامنة ، 4/ 203 ، وشذرات الذهب ، 6/ 144

5- الإحياء ، 4/ 204

فيقال : إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر ، بل ربط الأسباب بالمسببات ، وهو القضاء الأول ، الـذي هو كلمح البصر ، أو هو أقـرب ، وترتيـب تفصـيل المسـببات على تفاصـيل الأسـباب على التـدرج والتقدير ، وهو القدر ، والذي قدر الخير قدره بسبب ، وكذلك الشر ، قدر لرفعه سبباً ، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته 0

ثم في الـدعاء من الفائدة : أنه يستدعي حضور القلب مع الله - عـز و جـل- وذلك منتهى العبـادات ، فالـدعاء يـرد القلب إلى الله - عز وجل - بالتضــرع والاســتكانة » ، « ولــذلك كــان البلاء موكــولاً بالأنبياء - عليهم السـلام - ثم الأوليـاء ، لأنه يـرد القلب بالافتقـار إلى الله - عز وجل - ويمنع نسيانه»[1]

2- اختراع الأدعية :

ورد ابن الإمام على الذين يخـترعون الأدعية المبتدعة ، ولا يرجعون فيها إلى ما جاء بالشرع ، بقول القاضي عيــاض - رحمه الله - : « إن الله أذن في دعائه ، وعلّم الــدعاء في كتابه لخليقته ، وعلم النبي - - الدعاء لأمته ، واجتمعت فيه ثلاثة أشــياء: العلم بالتوحيد ، والعلم باللغة ، والنصيحة للأمة ، فلا ينبغي لأحد أن يعـدل عن دعائه - - ، وقد احتال الشيطان للنـاس في هـذا المقـام ، فقيض لهم قـوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي -- ، وأشد ما في الحال أنهم ينسبونها إلى الأنبياء - عليهم السـلام - والصـالحين »[2] 0

3- الإعراض عن الأدعية السنية :

ورد على من يعرض عن الأدعية السنية الشرعية ، بقوله : « فمن أولى ما انصـــرفت إلى حفظه عناية ذوي الهمم 000 ما كـــان بفضل الله تعـالى لأبـواب الخـير مفتاحـاً ، وبنص رسـول الله -- ، للمؤمنين سلاحاً ، وذلك التحميد والثناء ، والتمجيد والـدعاء ، أمر الله تعــالى به في كتابه العظيم، وفيه رغب رســوله الكــريم ، وإليه جنح المرسلون والأنبياء ، وعليه عول الصالحون والأوليــاء ، وإن أحسن ما توخـاه المـرء لدعائه ، في كل مهم، وتحـراه لكل خطب مـدلهم ، ما تحصّل به مقصود الدعاء ، مع بركة التأسي والاقتـداء ، ويكـون لفظه

---

[1]- سلاح المؤمن ، ص 35
[2]- سلاح المؤمن ، ص 22-23

وسيلة لقبوله ، وهو ما جاء في كتاب الله ، أو سنة رسوله -▯- ، وقد أنكر الأئمة - ▯- ، الإعراض عن الأدعية السنية »[1]

تلك هي مواقف الإمام ابن الإمام ، وردوده على الصوفية ، في مسألة الدعاء ، وبيان حدود الدعاء المشروع ، والدعاء الممنوع 0

المبحث الثالث : ترجمة موجزة للإمـام الـذهبي ، ومواقفه العملية والقولية في الرد على الصوفية 0

المطلب الأول: ترجمة موجزة للإمام الذهبي 0

1- اسمه ونسبه :

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمـــاز بن عبد الله التركمـــاني الأصل ، الفـــارقي ، ثم الدمشـــقي الذهبي [2]0

2- مولده: ولد الإمام الذهبي ، بدمشق ، في شهر ربيع الآخر سـنة 673هـ[3] 0

3- مؤلفاته : الإمـام الـذهبي كـان مكـثراً من التصـنيف ، قـال ابن حجر : «كـــان أكـــثر أهل عصـــره تصـــنيفاً»[4] ، وأحصى له بعض الباحثين[5] أكثر من مائتين وخمسين مؤلفاً ، بعضها يتجـاوز العشـرين جزءاً 0

ويعد كتابه " تـــاريخ الإســـلام " من أشـــهر كتبه ، واختصر منه مختصرات كثيرة منها : العبر ، وسير أعلام النبلاء ، ملخص التـاريخ [6] ، وله من المؤلفات أيضاً : ميزان الاعتدال في نقد الرجـال ، وتـذكرة الحفاظ ، وتجريد الأصول في أحاديث الرسول ، والمشتبه في أسماء الرجال ، ومعجم الشيوخ، وكتاب الكبائر 0

4- عقيدته ، وثناء العلماء عليه :

الإمام الذهبي سلفي العقيدة ، ومن أهل السنة والجماعة 0

---

[1]- سلاح المؤمن ، ص 22

[2]- الوافي بالوفيات ، صلاح الـدين الصـفدي ، (جمعية المستشـرقين الألمانية)، 2/ 163-168 ، ذيل تـذكرة الحفاظ ، للحسيني ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، ص 34-35 ، طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي ، (مصر : دار إحياء الكتب العربية) ، 9/ 100، الـدرر الكامنة ، 3/336- 338 ، الـرد الـوافر ، ص 66 ، شذرات الذهب ، 6/153-156

[3]- اتفقت على ذلك جميع المصـادر الـتي تـرجمت له ، وجـاء في الـدرر الكامنة 3/336: « ولد في ثـالث ربيع الآخر»

[4]-الدرر الكامنة ، 3/ 337

[5]- منهج الإمام الذهبي في العقيدة ، ص 72-83

[6]- الدرر الكامنة ، 3/337 ، ومعجم المؤلفين ، 8/ 289-290

قال ابن ناصر الدين الدمشقي : « كان آية في نقد الرجال ، عمـدة في الجـرح والتعـديل ، عالمـاً بـالتفريع والتأصـيل ، إمامـاً في القـراءات ، فقيهـاً في النظريـات ، له دربة بمـذاهب الأئمة وأربـاب المقالات ، قائماً بين الخلف، ينشر السنة ، ومذهب السلف»[1] 0

وقال ابن حجر : « 000رغب الناس في تواليفه ، ورحلوا إليه بسببها، وتداولوها، قراءة ونسخاً وسماعاً »[2]

ووصفه ابن العماد[3] : بـ «الإمام الحافظ »[4]0

5- وفــاته : تـوفي الإمـام الـذهبي - رحمه الله - ليلة الاثـنين ثـالث ذي القعدة ، سنة 748 هـ [5] 0

المطلب الثاني: مواقف الإمام الذهبي ، العملية والقولية ، في الرد على الصوفية 0

يعد الإمام الذهبي ، أحد علماء السلف ،المكثرين من الردود على الصوفية، فقد رد عليهم في كثير من مسـائل التصـوف ، مـبرزاً خطأ الصوفية في بعض ما ذهبوا إليه ، ومؤصلاً لمنهج السلف ، واعتقادهم 0

1- مصادر التلقي عند الصوفية :

أنكر الإمام الذهبي ، على الصوفية مصادر تلقيهم [6] ، لأنها تخـالف مصـادر السـلف في التلقي ، فقـال : « إذا رأيت السـالك التوحيـدي ، يقـول: دعنا من النقل و العقل ، وهـات الـذوق والوجد ، فـأعلم أنه إبليس قد ظهر بصـورة بشر ، أو قد حل فيه ، فـإن جبنت منه فـاهرب ، وإلا فاصـرعه وابـرك على صـدره ، واقـرأ عليه آية الكرسي ، واخنقه »[7]

وقال في الذوق والوجد ، - وهما من مصـادر تلقي الصـوفي ووسـائلهم في الحصـول على المعرفة والعلم - : « لاينهض الـذوق والوجد ، إلا على تأسيس الكتاب والسنة»[8]

1- الرد الوافر ، ص 67
2- الدرر الكامنة ، 3/ 337
3 - عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الدمشقي الصـالحي الحنبلي ، المعـروف بـابن العمـاد ، أبو الفلاح ، مؤرخ ، فقيه ، أديب ، ولد في صالحية دمشق ، في 8رجب سنة 1032هـ وأقام بالقاهرة مدة طويلة ، توفي بمكة المكرمة ، في16 ذي الحجة سنة 1089هـ 0(معجم المؤلفين ، 5/107)
4- شذرات الذهب ، 6/ 153
5- السير ، 13/ 525 ، والوافي بالوفيات ، 2/165 ، والدرر الكامنة ، 3/ 338
6- انظر: منهج الذهبي في العقيدة ، ص 505
7- السير ، 4/472
8- السير ، 8/509

وقال عن الكشف الصوفي : « 000فلا يغتر المسلم بكشف ولا بحال، ولا بإخبار عن مُغيب ، فابن صائد ، وإخوانه الكهنة لهم خوارق ، والرهبان فيهم من قد تمزق جوعاً وخلوة ومراقبة ، على غير أساس ولا توحيد ، فصفت كدورات أنفسهم ، وكاشفوا وفشروا ، ولا قدوة إلا في أهل الصفوة، وأرباب الولاية ، المنوطة بالعلم والسنن ، فنسأل الله إيمان المتقين ، وتأله المخلصين ، فكثير من المشايخ ، نتوقف في أمرهم ، حتى يتبرهن لنا أمرهم»[1]

وقال في ترجمة يونس بن يوسف : «كان شيخاً زاهداً ، كبير الشأن له الأحوال والمقامات والكشف ، وفي الجملة لم يكن الشيخ يوسف من أولي العلم ، بل من أولي الحال والكشف ، وكان عرياً من الفضيلة 000 وكان شيخنا ابن تيميه يتوقف في أمره أولاً، ثم أطلق لسانه فيه 000 فلا يغتر المسلم بكشف ، ولا بحال ، فقد تواتر الكشف والبرهان ، للكهان وللرهبان ، وذلك من إلهام الشياطين »[2] 0

وقال في ترجمة الباجريقي : « 000 الشيخ الضال الزنديق : محمد بن المفتي الكبير جمال الدين عبد الرحيم 000 حصل له حال وكشف ما وانقطع، فصحبه جماعة من الرذالة ، وهون لهم أمر الشرائع ، وأراهم بوارق شيطانية ، وكان له قوة تأثير وتصرف في الجهلة ، فقصده أناس فضلاء للسلوك ، فرأوا من بلايا منافية للشرع ، فشهدوا عليه بما يبيح للدم»[3]

وقال في ترجمة يوسف القُميّني : « الشيخ يوسف القميني 000كان للناس في هذا اعتقاد زائد ، لما يسمعون من مكاشفاته التي تجري على لسانه، كما يتم للكاهن ، سواء في نطقه بالمغيبات 0

وقد رأيت غير واحد من هذا النمط ، الذين زال عقلهم ، أو نقص ، يتقلبون في النجاسات 000 وبالفحش ينطقون ، ولهم كشف كما والله للرهبان كشف ، وكما للساحر كشف ، وكما لمن يصرع كشف ، وكما لمن يأكل الحية ويدخل النار حال ، مع ارتكابه

---

[1]- السير ، 22/178-179 ، وانظر : تاريخ الإسلام (ط62) ، ص 424
[2]- تاريخ الإسلام ، (ط62) ، ص 424-426
[3]- ذيل تاريخ الإسلام ، ص 265

للفـواحش ، فوالله ما ارتبطـوا على مسـيلمة والأسـود ، إلا لإتيـانهم بالمغيبات »[1]

وقال في ترجمة الحريري : « 000كبير الفقهاء البطلة 000 أكثر الناس يغلطـون فيه ، كـان مكاشـفاً لما في الصـدور ، بحيث قد أطلعه الله على سـرائر أوليائه ، قلت - القائل الإمـام الـذهبي - : ما هذا ؟
اتق الله ، فالكهنة وابن صائد ، مكاشفون لما في الضمائر »[2]
وقال في ترجمة ابن عربي : «000 وهـذا الرجل كـان قد تصـوف، وانعـزل وجـاع وسـهر ، وفُتح عليه بأشـياء وامـتزجت بعلم الخيال والخطرات والفكـرة ، فاسـتحكم به ذلك ، حـتى شـاهد بقـوة الخيـال أشـياء ظنها موجـودة في الخـارج ، وسـمع من طيش دماغه خطاباً ، اعتقده من الله ، ولا وجود لذلك أبداً في الخارج »[3]
وقال عن الخلوات والرؤى وخطرات النفس ، عند الصوفية :
« 000 ثم قل من عمل هــذه الخلــوات المبتدعة ، إلا واضــطرب وفسد عقله ، وجف دماغه ، ورأى وســـمع خطابـــاً لا وجـــود له في الخــارج ، 000 وإن كــان جــاهلاً بالســنن وبقواعد الإيمــان ، تزلــزل توحيــده ، وطمع فيه الشـيطان ، وادعى الوصــول ، وبقي على مزلة قدم ، وربما تزندق »[4]
وأضاف الإمام الذهبي : « ثم العابد العري من العلم ، متى زهد وتبتل وجـاع وخلا بنفسه ، وتـرك اللحم والثمـار ، واقتصر على الدقة والكسرة ، صفت حواسه ولطفت ، ولازمته خطرات النفس ، وسـمع خطاباً يتولد ، من الجوع والسهر ، لا وجود لـذلك الخطـاب ، - والله - في الخـــارج ، وولج الشـــيطان في باطنه وخـــرج ، فيعتقد أنه وصل وخوطب وارتقى ، فيتمكن منه الشيطان ويوسوس له »[5] 0

وعن منهج الاستدلال عند الصوفية ، نقل الإمام الذهبي قول سهل التستري : « إنما سمي الزنديق زنــديقاً ؛ لأنه وزن دق الكلام ، بمخبول عقله، وقياس هـوى طبعه ، وتـرك الأثر ، والإقتـداء بالسـنة ، وتأول القرآن بالهوى»[6] 0

---

[1] - السير ، 23/ 302 - 303
[2] - السير 23/ 224، 226-227
[3] - تاريخ الإسلام ـ (ط64) ـ ص 354
[4] - السير ، 17 / 577-578
[5] - السير ، 12/90
[6] - السير ، 13/ 332

وقال : « 000وفي الجملة ففي تصانيفه - أي السلمي - ، أحاديث وحكايات موضوعة ، وفي : "حقائق تفسيره" أشياء لا يسوغ أصلاً ، عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية ، وعدها بعضهم عرفاناً وحقيقة ، نعوذ بالله من الضلال ، ومن الكلام بهوى ، فإن الخير في متابعة السنة ، والتمسك بهدى الصحابة والتابعين »[1] 0

2- الحلول ووحدة الوجود :

قال في ترجمة الحلاج : « 000تبرأ منه سائر الصوفية[2] والمشايخ والعلماء ، لما سترى من سوء سيرته ومروقه ، ومنهم من نسبه إلى الزندقة وإلى الشعبذة[3]000، وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال ، وانتحلوه وروجوا به على الجهال ، نسأل الله العصمة في الدين»[4] 0

وقال عن الحلاج أيضاً : «000 ولكن مقالته نبرأ إلى الله عنها، فإنها محض الكفر ، نسأل الله العفو والعافية ، فإنه يعتقد حلول الباري - عز وجل- في بعض الأشراف ، تعالى الله عن ذلك »[5] 0

وقال عن ابن عربي : « 000ثم تزهد ، وتفرد ، وتوحد ، وسافر وتجرد ، وأتهم، وأنجد ، وعمل الخلوات ، وعلق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة ، ومن أردأ تواليفه كتاب " الفصوص " فإن كان لا كفر فيه ، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة ، فواغوثاه بالله »[6] 0

ووصف الإمام الذهبي ، ابن عربي ، أنه : « قدوة أهل الوحدة »[7] ، وذكر له بعض الأشعار، التي تبين فساد عقيدته [8] 0

وقال في ترجمة ابن سبعين : « كان من زهاد الفلاسفة ، من القائلين بوحدة الوجود ، له التصانيف ، وأتباع يقدمهم يوم القيامة »[9] 0

---

[1] - السير ، 17/252

[2] - انظر : ص 182 من هذا البحث

[3] - شعبذ: مهر في الاحتيال ، ورأى الشيء على غير حقيقته ، معتمداً على خداع الحواس ، وشعبذ : زين الباطل لإيهام أنه حق 0 (المعجم الوسيط ، 2/484 ، (باب العين) 0

[4] - السير ، 14/ 314 ، وانظر : 14/ 318و342-343

[5] -السير ، 14/ 315 ، وانظر : 14/325 ، 327 ، 329

[6] - السير ، 23/ 48-49 ، وانظر : ذيل تاريخ الإسلام (ط64) ، ص 353 ، والعقد الثمين ، 2/ 185-186

[7] - تاريخ الإسلام ، (ط64) ، ص 352 ، وانظر : ذيل تاريخ الإسلام (ط64) ، ص 358

[8] - انظر : ص 196 من هذا البحث

[9] - العبر ، 3/ 320

3- الفنــاء :

قال الإمام الذهبي : « 000 يقال إنه - أي أبو سعيد الخراز - أول من تكلم في علم الفناء 000قصد خيراً ، فولد أمراً كبيراً ، تشبث به كل اتحادي ضال به»[1] 0

وقال في ترجمة الهروي : « 000 وفي " منازلة " إشارات إلى المحو والفناء ، وإنما مراده بذلك الفناء : هو الغيبة عن شهود السوى ، ولم يرد محو السوى في الخارج 000»[2] 0

وقال الإمام الذهبي ، تعليقاً على قول النوري : « سبيل الفانين الفنـاء في محبـوبهم ، وسـبيل البـاقين البقـاء ببقائه ، ومن ارتفع عن الفناء والبقاء، فحينئذ لا فناء ولا بقاء »

قال : « 000 مرادهم بالفناء ؛ فناء الأوصاف النفسانية ونحوها ، ونسـيانها لا شـتغالهم بالله -تعـالى - وبعبادته ، فـإن ذات العـارف وجسده لا ينعدم ما عاش ، والكون وما حـوى فمخلـوق ، والله خـالق كل شـــيء ومبدعه ، أعاذنا الله وإيـــاكم من قـــول الاتحاديـــة، فإنه زندقة»[3] 0

وقال : « 000 فإن الفناء والبقاء ، من ترهات الصوفية ، أطلقه بعضهم ، فدخل من بابه كل إلحادي ، وكل زنديق 000 » 0

وقـال : « 000إنما أراد قـدما الصـوفية بالفنـاء ، نسـيان المخلوقـات وتركها ، وفنـاء النفس عن التشـاغل بما سـوى الله ، ولا يسـلم إليهم هـذا أيضـاً ؛ بل أمرنا الله ورسـوله - - ، بالتشـاغل بالمخلوقات ورؤيتها ، والإقبال عليها ، وتعظيم خالقها 000» [4] 0

4- سقوط التكاليف الشرعية :

نقل الإمام الذهبي : « أن الباجريقي قال : إن الرسل طولت على الأمم الطريق إلى الله - تعالى - وداروا بهم »

---

[1] - السير ، 13/ 320 ـ وانظر هذا الخبر في طبقات الصوفية ، ص 227
[2] - السير ، 18/ 510
[3] - السير ، 14/ 72-73 ـ وانظر : السير 15/409-410
[4] - السير ، 15/ 393

فقال الإمام الذهبي تعليقاً على هذا القول : « يشير إلى أن الفرائض والعبادات حجاب عن الله - تعالى - ، قلت : هذه الطائفة الخبيثة مدفونون في الإبخاش ، لو أظهروا زندقتهم لقتلوه[1] »[2]

وقال : « وعندي مجموع ، من كلام الشيخ الحريري فيه : إذا دخل مريدي بلاد الروم ، وتنصر ، وأكل لحم الخنزير ، وشرب الخمر كان في شغلي ، وسأله رجل : أي الطرق أقرب إلى الله ؟ قال : اترك السير وقد وصلت ! »[3]

وقال الإمام الذهبي ، في ترجمة الباجريقي : « 000فصحبة جماعة من الرذالة ، وهون لهم أمر الشرائع 000وحكي عنه التهاون بالصلوات 000وكان أصحابه ، يقصدون قبره يوم الجمعة ، ويتركون صلاة الجمعة»[4]

وقال عن الحريري : «000 كان مستخفاً بأمر الصلوات »[5]

وقال عن بعض الصوفية : « وقد رأيت غير واحد من هذا النمط ، الذين زال عقلهم أو نقص ، يتقلبون في النجاسات ، ولا يصلون»[6]

وعن صلاة الرغائب ، قال الذهبي : « علي بن عبد الله بن جهضم ، الزاهد أبو الحسن ، شيخ الصوفية بحرم مكة ، 000متهم بوضع الحديث ، 000اتهموه بوضع صلاة الرغائب »[7] 0

وقال عن حديث صلاة الرغائب : « والحديث موضوع ، ولا يعرف إلا من رواية ابن جهضم ، وقد اتهموه بوضع الحديث »[8]

5 ـ طاعة الولــي :

قال الإمام الذهبي : « نقل السلمي حكاية منكرة » أنه « كان بين أبي سليمان الداراني ، وأحمد بن أبي الحواري[9] ، عقد لا يُخالفه في أمر ، فجاء يوماً وهو يتكلم في مجلسه ، فقال أحمد : إن التنور

[1] - هكذا في الأصل ، والصواب : لو أظهروا زندقتهم لقتلوهم ، أو لو أظهروا زندقتهم لقتلوا 0
[2] - ذيل تاريخ الإسلام ـ ص 266
[3] - السير ـ 23/ 225
[4] - ذيل تاريخ الإسلام ـ ص 265ـ 266 ـ وانظر : كتاب الكبائر للذهبي ـ ص 168 ـ عن حكم تارك صلاة الجمعة 0
[5] - السير ، 23/ 225
[6] - السير ، 23/ 303
[7] - ميزان الاعتدال ، 5/ 172 ـ وانظر : ص 232 من هذا البحث 0
[8] - تاريخ الإسلام ـ (وفيات 401-410و411-420) ـ ص351
[9] - أحمد بن أبي الحواري ـ وكنيته أبو الحسن ، وأبو الحواري اسمه ميمون ـ من أهل دمشق ، صحب أبا سليمان الداراني ـ وغيره ، مات سنة 230 هـ 0(طبقات الصوفية ـ ص 89-99)

قد سجر ، فما تأمر؟ فلم يجبه ، فأعاد مرتين أو ثلاثاً ، فقـال : اذهب فاقعد فيه - كأنه ضـاق به - وتغافل أبو سـليمان سـاعة ، ثم ذكر ، فقال : اطلبـوا أحمد فإنه في التنـور ، لأنه على عقد أن لا يخـالفني ، فنظروا فإذا هو في التنور ، لم يحترق منه شعرة»[1] 0

فقال الإمام الذهبي ، تعليقاً على الطاعة المطلقة للشيوخ عند بعض الصوفية : « ينبغي للمريد أن لا يقول لأستاذه : لِـمَ ، إذا علمه معصوماً ، لا يجـوز عليه الخطأ ، أما إذا كـان الشـيخ غـير معصـوم ، وكره قول : لـم ؟ فإنه لا يُفلح أبداً »[2] 0

6- الكرامـات :

قال في ترجمة الحلاج : «فانظر إلى ترامي هذا المسكين ، على الكرامات والخوارق ، فنعوذ بالله من الخذلان »[3]

وقال : « ليس في كبار المشايخ ، من له أحوال وكرامات ، أكثر من الشـيخ عبد القـادر ، ولكن كثـيراً منها لا يصح ، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة»[] 0

7- السـماع :

نقل الإمام الذهبي ، قول الإمام الشافعي ، في السماع : « خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة ، يسمونه التغبير ، يشغلون به عن القرآن »[4]

وقال : « قيل سئل أبو علي - الروذ باري - عمن يسمع الملاهي ، ويقول : هي حلال لي ، لأني قد وصلت إلى رتبة لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال ؟ فقال : نعم قد وصل ، ولكن إلى سقر»[5]

8- الرمـوز والغموض :

قال الإمام الذهبي : « متى رأيت الصوفي ، مكباً على الحديث فثق به ومـتى رأيته نائيـاً عن الحـديث ، فلا تفـرح به ، لاسـيما إذا انضاف إلى جهله
بالحديث ، عكوف على ترهات الصوفية ، ورموز الباطنية »[6] 0

---

[1] - السير ، 12/ 93
[2] - السير ، 17 / 251-252
[3] - السير ، 14/ 325 ـ وانظر : السير ، 12/ 212-213
[4] - السير ، 10/ 91
[5] - السير ، 14/ 536
[6] - السير ، 12/ 213

وقال في ترجمة ابن الأعرابي : « 000كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة، زل عن سواء السبيل ، وقد كـان ابن الأعـرابي من علماء الصوفية ، فتراه لا يقبل شـيئاً من اصـطلاحات القـوم ، إلا بحجة »[1]

وقـــال في ترجمة الفارسي : « الصـــوفي 000له تصـــانيف في إشارات القوم ، فيها انحراف بيّن عن السنة »[2]

وقال : « 000كذا تُكلم في السلمي ، من أجل تأليف كتاب : " حقـــائق التفســـير " فياليته لم يؤلفه ، فنعـــوذ بالله من الإشـــارات الحلاجية ، والشـطحات البسـطامية ، وتصـوف الاتحادية ، فواحزنـاه على غربة الإسلام والسنة »[3]

وقال في ترجمة النوري : « شيخ الطائفة بالعراق ، وأحذقهم بلطـائف الحقـائق ، وله عبـارات دقيقة ، يتعلق بها من انحــرف من الصوفية ، نسأل الله العفو»[4]

9- ذم المبتدع من الصوفية :

قال في ترجمة أحمد بن عطاء [5]: « شيخ الصـوفية العابد القانت 000القدري المبتـدع ، فما أقبح بالزهـاد ركـوب البـدع ، نعـوذ بالله من ترهات الصوفية ، فلا خير إلا في الاتباع ، ولا يمكن الاتباع إلا بمعرفة السنن »[6]

10-الرهبانيـة :

قال في الرهبانية ، التي يبتدعها بعض الصوفية : « العابد العري من العلم ، متى زهد وتبتل وجاع ، وخلا بنفسه ، وترك اللحم والثمـار 000لازمته خطـــرات النفس 000وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه ولي ، صاحب كرامـات وتمكن ، وربما حصل له شك ، وتزلـزل إيمانه ، فالخلوة والجـوع أبو جـاد[7] الـترهب ، وليس ذلك من شـريعتنا في شـــيء ، بلى الســـلوك الكامل هو الـــورع في القـــوت ، والـــورع في

---

[1] - السير ، 15/ 410
[2] - السير ، 22/ 180
[3] - السير ، 13/ 442
[4] - السير ، 14/ 70
[5] -أحمد بن عطاء الهجيمي البصري ، القدري المبتدع ، كان تلميذ شيخ البصر عبد الواحد بن زيد ، تـوفي سـنة 200هـ (السير ـ 9/408-409)
[6] - السير ، 9 / 408-409
[7] - لم أقف على معنى هذه الكلمة ، وقد كرر ذكرها الإمام الذهبي أكثر من مرة 0

المنطق ، وحفظ اللسان ، وملازمة الذكر000 وتناول الطيبات »[8]

وعلق الإمام الذهبي على قول الجنيد : « مأخذنا التصوف عن القال والقيل ، بل عن الجوع وترك الدنيا ، وقطع المألوفات »0

قائلاً : « هذا حسن ، ومراده : قطع أكثر المألوفات ، وترك فضول الدنيا ، وجوع بلا إفراط ، إما من بالغ في الجوع ، كما يفعله الرهبان، ورفض سائر الدنيا ، ومألوفات النفس ، من الغذاء والنوم والأهل ، فقد عرض نفسه لبلاء عريض ، وربما خولط في عقله ، وفاته بذلك كثير من الحنيفية السمحة »[1]

وقال في ترجمة الأبهري : « قيل إنه عمل له خلوة ، فبقي خمسين يوماً لا يأكل شيئاً 0

وقد قلنا : إن هذا الجوع المفرط لا يسوغ ، فإذا كان سرد الصيام والوصال قد نُهي عنهما ، فما الظن ؟ 000 ثم قل من عمل هذه الخلوات المبتدعة إلا واضطرب ، وفسد عقله ، وجف دماغه ، ورأى مرأىً وسمع خطاباً لا وجود له في الخارج ، فإن كان متمكناً من العلم والإيمان ، فلعله ينجو بذلك من تزلزل توحيده ، وإن كان جاهلاً بالسنن وبقواعد الإيمان ، تزلزل توحيده ، وطمع فيه الشيطان ، وادعى الوصول ، وبقي على مزلة قدم ، وربما تزندق ، وقال : أنا هو ، نعوذ بالله من النفس الأمارة ، ومن الهوى، ونسأل الله أن يحفظ علينا إيماننا آمين»[2]

11- الشطح:

قال في ترجمة يونس بن يوسف[3] : « شيخ الطائفة اليونسية[4] ، أولي الزعارة والشطارة والشطح ، وقلة العقل ، أبعد الله شرهم 000وفي الجملة لم يكن الشيخ يونس، من أولي العلم 000 وله أبيات منكرة ، كقوله :

موسى على الطور لما خر لي ناجى   واليثربي أنا جبتوه حتى جا

---

[8] - السير ، 12 / 90
[1] - السير ، 14 / 69-70
[2] - السير ، 17/ 576-577
[3] -يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني المخازني المشرفي ، كان شيخاً زاهداً ، ولم يكن من أهل العلم ، بل من أهل الحال والكشف ، وكان عرياً من الفضيلة ، ولد سنة 619 هـ 0 (تاريخ الإسلام (ط62) ، ص 424-425)
[4] - نسبة إلى يونس بن يوسف ، مات سنة 619هـ 0(الكشف عن حقيقة الصوفية ، ص 358)

وأما اليونسية : فهم شر الطوائف الفقراء ، ولهم أعمال تدل على الاستهتار والانحلال ، قالاً وفعلاً ، أستحي من الله ، ومن النـاس من التفـوه بها 000وذلك الـبيت وأمثاله ، يحتمل أن يكـون قد نظمه على لسان الربوبية 000وإن كـان عـنى نفسه ، فهـذه زندقة عظيمة 000»[1] 0

تلك هي مواقف وردود الإمام الذهبي ، من الصوفية وبدعها ، والـــــتي يظهر من خلالها قوته في الحق ، ومعرفته في الشـــــرع ، ونصرته لمنهج السلف الصالح ، في التأصيل والردود 0

المبحث الرابع : ترجمة موجزة للإمام ابن مفلح ، ومواقفه العملية والقولية ، في الرد على الصوفية 0

المطلب الأول : ترجمة موجزة للإمام ابن مفلح :

1- اسمه ونسبه :

محمد بن مفلح بن محمد بن مفــرج المقدسي ، ثم الصــالحي ، الفقية الحنبلي، شمس الدين ، أبو عبد الله [2]

2- مولــده : ولد في حدود سنة 710 ، وقيل سنة 712هـ [3]

3- مؤلفاتـه:

جمع الإمام ابن مفلح ، مصنفات عدة ، منها على "المقنع" نحو ثلاثين مجلداً ، وعلى "المنتقى" مجلـدين ، وله كتـاب "الفـروع" ، قد اشتهر في الآفاق ، وهو من أجل الكتب وأنفسها ، وله حاشـية على " المقنع " ، وله كتاب في أصول الفقه ، و" الآداب الشرعية"[4]

---

[1] - تاريخ الإسلام ، (ط62) ، ص 423-424

[2] - الدرر الكامنة ، 4/ 261 ، و المقصد الأرشد ، 2/ 517-518 ، وشذرات الذهب ، 6/ 199

[3] - الدرر الكامنة ، 4/261

[4] - المقصد الأرشد ، 2/ 520

4- عقيدته ،وثناء العلماء عليه :

الإمام ابن مفلح ، سلفي العقيدة ، من أهل السنة والجماعة ، « وحيد دهــره ، وفريد عصــره ، شــيخ الحنابلة في وقته ، بل شــيخ الإسـلام ، وأحد الأئمة الأعلام 000 كـان غاية في نقل مـذهب الإمـام أحمد 000وكـــان ذا حظ من زهد وتعفف وصـــيانة وورع 000ودين متين »[1] 0

« وكان بارعاً فاضلاً متقناً ، في علوم كثيرة »[2] ، قال عنه الإمام ابن القيم : « ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح »[3]

5- وفاتـه:

تـوفي الإمام ابن مفلح - رحمه الله - في رجب سنة 763 هـ[4]

المطلب الثـــــاني: مواقف الإمـــــام ابن مفلح ، العملية والقولية ، في الرد على الصوفية:

1- التلقي والاستدلال :

نقل ابن مفلح ، قول الإمام أحمد بن حنبل ، عندما سئل عمن يتكلم في الوســاوس والخطــرات ، فنهى عن مجالســتهم ، وقــال للسائل : « احـــذرهم »[5]

---

[1] - المقصد الأرشد ، 2/ 518-519 ، وشذرات الذهب ، 6/199

[2] - الدرر الكامنة ، 4/ 262

[3] - شذرات الذهب ، 6/ 199

[4] - الدرر الكامنة ، 4/ 262 ، والمقصد الأرشد ، 2/ 520

[5] - الآداب الشرعية ، 2/ 82

ونقل كذلك تحذير الإمام أحمد من كتب الحارث المحاسبي ، عندما قال للسائل : « إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدع وضلالات ، وعليك بالأثر ، فإنك تجد فيه ما يغنيك، قيل له : في هذه الكتب عبرة ، فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة ، فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم أن سفيان ومالكاً والأوزاعي ، صنفوا مثل هذه الكتب ، في الخطرات والوساوس ؟ ما أسرع الناس إلى البدع »[1]

وقال في أصل الذوق والوجد : « فإن ما كان من باب الذوق والوجد ، لا يعرفه إلا من كان له ذوق وحس ، ولفظ الذوق وإن كان قد يُظن أنه في الأصل مختص بذوق اللسان ، فاستعماله في الكتاب والسنة ، يدل على أنه أعم من ذلك ، مستعمل في الإحساس بالملائم والمنافي، كما أن لفظ الإحساس عام فيما يحس بالحواس الخمس ، بل وبالباطن ، وأما في اللغة فأصله الرؤية[2]، كما قال تعالى :] 000هل تحس منهم من أحد000 [[مريم : 98][3]

2- الوصال ، وصيام الدهر :

قال ابن مفلح : « يكره الوصال ، وهو أن لا يفطر بين يومين ؛ لأن النهي رفق ورحمة 000وقيل يحرم »[4] 0 وقال : « يكره صوم الدهر»[5]

3- الرهبانية :

استدل الإمام ابن مفلح ، بقول ابن الجوزي[6] ، على ذم ما يفعله بعض الصوفية من الرهبانية والتقشف ، بقوله : « ولقد تخبط في هذا الأمر خلق كثير من الصالحين ، صحت مقاصدهم وجهلوا الجادة ، فمشوا في غيرها وفي هؤلاء الذين حملوا على أنفسهم ، من عاجله المرض والموت ، وفيهم من رجع القهقرى ، ومنهم من تخبط فلا من هؤلاء ولا من هؤلاء 0

فأما العلماء الفهماء ، فإنهم على قانون الحكمة وسبيل العلم ؛ فإياك أن تعرض عن الجادة السليمة ، احذر من الإقتداء بجهال المتصوفة والمتزهدين ، الذين تركوا الدنيا على زعمهم ، فالصادق

---

1 - الآداب الشرعية ، 2/ 82-83
2 - انظر تأصيل الرؤية على منهج السلف ، في الآداب الشرعية ، 3/ 427-436
3 - الآداب الشرعية ، 1/ 165-166
4 - الفروع ، 3/ 86
5 - الفروع ، 3/ 85
6 - انظر : تلبيس إبليس ، ص 280، 282، 287

منهم في تركها عامل بواقعه لا بـالعلم ، والمبهـرج منهم خسر الـدنيا والآخرة »[1]

وأضاف القول : « ومن جهل هؤلاء أنهم لو رأوا عالماً يرفق بنفسه عـابوه ، ولو رأوا عليه قميص كتـان ، قـال زاهـدهم : هـذا ما يعمل بعلمه ؟»[2]

واستدل ابن مفلح ، بقول الإمام أحمد ، على بطلان ما يفعله الصوفية من السياحة ، فقال - وقد سؤل الإمام أحمد - : « ما تقـول في السياحة ؟ 0 قال : لا ، التزوج ولزوم المسجد »[3] 0

4- السـماع :

أورد ابن مفلح ، قول ابن الجوزي [4]، في ذم ما يفعله الصوفية ، من السماع المحرم ، فقـال : « إني لأعجب من الصـوفية ، إذا مـات لهم ميت ، كيف يعملون دعوة ويرقصون ، ويقولـون : وصل إلى الله - عز وجل - ، أفأمنوا أن يكـون وقع في عـذاب ، فهـؤلاء سـدوا بـاب الخوف ، وعملوا على زعمهم على المحبة والشوق ، وما كان العلماء هكذا »[5]

وذكر أنه يسن صون المسجد : « عن إنشاد شعر قبيح ومحرم ، وغناء ، وعمل سماع »[6]

وقال : « قال الشيخ تقي الدين - رحمه الله - : وآلات اللهو ، لا يجوز اتخاذها ، ولا الاستئجار عليها ، عند الأئمة الأربعة »[7]

5- الأحوال والمقامات :

قال الإمام ابن مفلح : « قال شيخنا عمل القلب ؛ كالصـبر والتوكل والخـــوف والرجـــاء ، وما يتبع ذلك ، واجب باتفـــاق الأئمة الأربعة»[8]

---

[1] - الآداب الشرعية ، 2/ 243
[2] - الآداب الشرعية ، 2/ 243
[3] - الآداب الشرعية ، 1/ 460
[4] - انظر: تلبيس إبليس ، ص 308
[5] - الآداب الشرعية ، 1/ 178
[6] - الآداب الشرعية ، 3/ 388
[7] - الآداب الشرعية ، 1/ 217
[8] - الفروع ، 2/ 223

وقال : « قال أحمد بن القاسم[1] : سمعت أبا عبد الله - أحمد بن حنبل - ورجل يسأله من أهل الشام - رجل غريب - فـذكر أن ابن أبي الحـواري وقوماً معه ، يتكلمـون بكلام قد وضـعوه في كتـاب ، ويتذاكرونه بينهم ، فقال : ما هو ؟ قال : يقولـون : المحبة لله أفضل من الطاعة ، وموضع الحب درجة كذا ، فلم يدعه أبو عبد الله يستتم كلامه ، وقال : هذا ليس من كلام العلماء ، لا يلتفت إلى من قال هذا ، وأنكر ذلك وكرهه »[2]

6- ذم الصـوفية :

قال ابن مفلح : « قال في " الفنون " [3] : ما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفة ، فهؤلاء يفسـدون العقـول بتوهمـات شبهات العقول ، وهؤلاء يفسدون الأعمال ، ويهدمون قوانين الأديـان 0

قال : وقد خبرت طريق الفريقين ، غاية هؤلاء الشك ، وغاية هؤلاء الشطح ، والمتكلمون عندي خير من الصـوفية ؛ لأن المتكلمين قد يـردون الشك ، والصـوفية يوهمـون التشـبيه والأشـكال ، والثقة بالأشـخاض ضـلال ، مالله طائفة أجـل ، من قـوم حـدثوا عنه وما أحدثوا ، وعولوا على ما رووا ، لا على ما رأوا »[4] 0

هكذا وقف الإمـام ابن مفلح ، من الصـوفية ، مستنداً في مواقفه على كتاب الله ، وسنة رسوله الكريم -- ، ومستدلاً بأقوال أئمة الإسلام العدول ، على ضلال الصـوفية ، في بعض ما ذهبـوا إليه 0

---

[1] - أحمد بن أبي بكر (القاسم) بن الحـارث بن زرارة بمن مصـعب بن عبد الـرحمن بن عـوف ، أبو مصـعب الزهري ، المدني الفقيه ـ مات سنة 42هـ 0(تقريب التهذيب ـ ص87)
[2] - الآداب الشرعية ، 2/ 82
[3] - يقصد ابن عقيل ـ والفنون كتاب ضخم ـ مفقود 0
[4] - الآداب الشرعية ، 1/ 228

المبحث الخامس : ترجمة موجزة للإمـام ابن قاضي الجبل ، ومواقفه العملية والقولية ، في الرد على الصوفية 0

المطلب الأول: ترجمة موجزة للإمام ابن قاضي الجبل 0

1- اسمه ونسبه :
أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الحنبلي ، شرف الدين ابن شرف الدين ابن قاضي الجبل ، أبو العباس [1]
2- مولــده : ولد في شعبان ، سنة 693هـ [2]
3- مؤلفاتـه:
الفائق في الفقه ، أصول الفقه ، الرد على الهراسي ، شرح المنتقى لابن تيميه ، وسـماه : " قطر الغمـام في شـرح أحـاديث الأحكـام " ، تنقيح الأبحـاث في رفع الـتيمم للأحـداث ، ومسـألة المناقلة[3] 0

4- عقيدته ، وثناء العلماء عليه :
الإمام ابن قاضي الجبل ، سلفي العقيدة ، من أهل السـنة والجماعة 0
قال ابن حجر : « اشتغل بالعلم فبرع في الفنون ، وكان بارعاً في العلوم بعيد الصيت ، قديم الذكر ، وله نظم وذهن سيال ، وأفـتى في شبيبته ، يقال إن ابن تيميه أجازه بالإفتاء ، وكـان يعمل الميعـاد ، فيزدحم إليه الفضلاء والعامة »[4]
وقال ابن رجب : « كان له باع طويل في التفسـير ، لا يمكن وصفه ، كان له في الأصـول والفـروع ، القـدم العـالي ، وفي شـرف الـدنيا المحل السـامي 000كيف لا ؟ وهو تلميذ ابن تيميه ، وقد قـرأ عليه ، واشتغل كثيراً ، وقرأ عليه مصنفات في علو شتى»[5]

---

[1] - الدرر الكامنة 1/120 ـ والذيل على طبقات الحنابلة ، 4/ 453
[2] - الدرر الكامنة ، 1/ 120
[3] - الذيل على طبقات الحنابلة ، 4/ 454 ـ وفتاوى في الغناء ، ص 7
[4] - الدرر الكامنة ، 1/ 120
[5] - الذيل على طبقات الحنابلة ، 4/ 453

وقال ابن ناصر الدين : « الشيخ الإمام العلامة ، ذو الفنون ،000 شرف الدين ، مفتي المسلمين ، مفيد الطالبين»[6]

5- وفاته : تــوفي ابن قاضي الجبل - رحمه الله - في رجب ســنة 771هـ[2]

الطلب الثاني : مواقف الإمام ابن قاضي الجبل ، العملية والقولية ، في الرد على الصوفية 0

ألف الإمام ابن قاضي الجبل كتاباً كاملاً - فتاوى في الغناء - ، جمع فيه فتاوى وردود العلماء ، على مسألة السماع عند الصوفية ، وما يصحبها من آفات ، وما ينتج عنها من مخالفات 0

فقال : « رب يسر وأعن يا كريم 000صورة استفتاء كُتب في سنة أربعين وسبعمائة - من الهجرة - ، لأمر أوجب ذلك ، وسُئل عنه أئمة أهل العلم والدين ، فأجابوا عنه ، لا أخلى الله الوجود من عدول العلم وحملته ، الــذين يــبينون للنــاس ما أُنــزل إليهم من ربهم ويعتصمون بطريقة نبيهم»[3]

وأضاف : « فإنما يهلك الناس إذا صاروا نوعاً واحداً ، وصنفاً واحداً، لا يتفاضلون في علم ولا دين000»[4]

ثم أورد صورة الاستفتاء ، فقال : « ما تقول 000 العلماء أحسن الله توفيقهم ، في السماع الذي يشتمل على الـدفِّ والشـبابة وآلات اللهو والطرب0 أو التصفيق بـالكف ونحـوه من اللهو ، مثل : التغبـير ونحـوه ، ويحضر الرجـال والنسـاء ، وربما اختلطـوا بعضـهم ببعض ، فربما جلس النسـاء مقابل الرجـال ، فينظـرون إليهم وهم يرقصـون على صـوت الشـبابات والـدفوف والغنـاء ، ويزعمـون أن ذلك قربة يقـربهم إلى الله ، ويزيد في أذواقهم ومواجيـدهم الإيمانية ، وأن من رقص غُفر له 0

يقول ذلك بعضهم ، وأن من أنكر ذلك عليهم محجوب ، ليس من أهل الحقيقة ، بل هو من أهل القشور ، وهم أهل اللبـاب ، وربما

---

[6] - الرد الوافر ، ص 138
[2] - الدرر الكامنة ، 1/ 121
[3] - فتاوى في الغناء ، ص 19
[4] - المرجع السابق ، ص 19

قالوا : نحن وصلنا إلى ما لم يصل إليه الفقهاء ، وربما ارتفعت بينهم الأصوات والشخير والنخير والزعقات ، وربما أظهروا أشياء يسمونها الإشارات ، كإخراج الآذن والدم وملابسة النار ومسك الحيات ، ويزعمون أن هذه كرامات وأحوال ، وأنهم يدعون بها الناس إلى الله ، ويقولون : لنا الحقيقة ولغيرنا الشريعة 0

فهل هذه أفعال طاعة وقربة ؟ 0 ودين شرعه الله لعباده ؟ 0ورضيه لهم، كما يزعمه هؤلاء القوم أم لا؟ وهل فعل رسول الله - - شيئاً من ذلك أم لا؟

وما يجب على من نسب ذلك إلى رسول الله -- وأصحابه ، واتخذه ديناً ؟ وهل هذا من الحق أم من الباطل؟ وهل هذه طريقة أولياء الله وحزبه وأتباع رسوله ؟ أم طريقة أهل اللهو واللعب والباطل ؟ وهل يسوغ الإنكار على هؤلاء ويثاب من ينكر عليهم بيده أو بقلبه أو بلسانه أم لا ؟ وهل ذلك من المنكر الذي قال فيه رسول الله -- : « من رأى منكم منكراً ، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[1]0

ثم إن هؤلاء القوم منهم من يقول : إن هذا السماع قربة يتقرب بها ، ومنهم من يقول: إنه مباح ، وربما قال أصحاب هذا القول : إن الشافعي هو الذي قد قال بإباحة السماع 0

فهل قال الشافعي بإباحة ذلك أم لا ؟ ومنهم من يقول: هو ذنب صغير يمحوه الاستغفار0 يقول ذلك وهو مصر على فعله ، لزعمه أن الاستغفار الذي يمحوه هو : مجرد نطقه بالاستغفار من غير أن يقلع بقلبه عنه 0 فهل هذا الاستغفار يزيل هذا الذنب من غير عزم بقلبه على تركه أم لا ؟ 0

ومنهم من يحتج على ذلك وأنه مباح بحديث الحبشة الذين لعبوا في المسجد بالحراب ، وعائشة - رضي الله عنها - تنظر إليهم من وراء النبي -[2]0-

ومنهم من يحتج بحديث بنات النجار ، وأنهن ضربن بالدف أمام النبي[3]0

[1] - صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، 1/69 حديث رقم 49

[2] - أخرج البخاري في صحيحه كتاب الصلاة ، باب أصحاب الحراب في المسجد ، 1/163 ، حديث رقم 454 ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « لقد رأيت رسول الله - - يوماً على باب حجرتي ، والحبشة يلعبون في المسجد ، ورسول الله -- يسترني بردائه ، أنظر إلى لعبهم » 0 وفي صحيح البخاري ، كتاب العيدين ، باب الحراب والدرق يوم العيد ، 1/302 حديث رقم 950 ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فإما سألت النبي -- ، وإما قال : أتشتهين تنظرين ؟ فقلت : نعم 0 فأقامني وراءه خدي على خده ، وهو يقول : دونكم يا بني أرفدة ، حتى إذا مللت ، قال : حسبك ؟ قلت : نعم 0 قال ، فاذهبي »

والمسـؤل من السـادة[1] العلمـاء تبـيين ذلك كله ، وتعريف الصراط المستقيم ، وفرضـنا السـؤال ، وفرضـكم الجـواب 0 قـال -تعالى-:]000فاسألوا أهل الـذكر إن كنتم لا تعلمـون [[النحل : 43] ، وقال -تعالى- :] وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للنـاس ولا تكتمونه000[، [آل عمران : 187] 0
وصلى الله على سيدنا محمد و أله وصحبه وسلم »[2]

هذه صورة الاستفتاء ، الذي أورده الإمام ابن قاضي الجبل كاملاً ، ثم أورد بعـده أجوبة العلمـاء عليه ، فقـال : « صـفة الجـواب الثـالث [3] ،وهو جـواب برهـان الـدين بن عبد الحق الحنفي[4]: الله الموفق ، هذا الجـواب المسـؤل عنه بهـذه الصـفات المـذكورة بدعة وحرام ، تسقط به العدالة ، وترد به الشهادة ، وتـذهب به المـروءة ، و لا يعرف في حله قولاً لأحد ممن يعتد 0
وقد قال تعالى:] وما كان صـلاتهم عند الـبيت إلا مكـاء وتصـدية 000 [[الأنفال : 35]
فالمكاء التصفيق ، والتصدية الصفير[5] 0
وقال -تعالى-] 000واجتنبوا قول الزور [[الحج : 30] ، قال محمد بن الحنيفية[6]: هو الغناء [7]0

---

[3] - حديث بنات النجار ، أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب النكاح ، باب الغناء والدف ، 1/612 ، حديث رقم 1899 ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - : « أن النـبي -- مر ببعض المدينة ، فـإذا هو بجـوار يضـرب بدفهن ويتغنين ويقولن :
نحن بنات النجـــــار يا حبذا محمد من جـــــار
فقال النبي -- : « الله يعلم إني لأحبكن » ، وفي الزوائد إسناده صحيح ، ورجاله ثقات ، وصححه الألبـاني في صحيح سنن ابن ماجة 0
[1] - السيد هو : الله - تعالى ذكره وتقدست أسماؤه - 0
[2] - فتاوى في الغنـاء 19-21 و كشف الغطـاء عن حكم سـماع الغنـاء ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : ربيع أحمد خلف ، ط1، (بيروت : دار الجيل ،1412هـ) ، ص 20-22
[3] - بداء بالجواب الثالث مباشرة ، ولم يذكر الجواب الأول و الثاني ، فلعله سقط لم يستدركه محقق الكتاب ، وقد وجدت الجواب الأول ، في كتاب كشف الغطاء عن مسألة حكم سـماع الغنـاء ، فصاحب الجـواب الأول : تقي الدين السبكي ، والجواب الثاني : الشيخ جلال الـدين بن قاضي القضـاة حسـام الـدين الحنفي ، وجوابـاً لابن كثير ، لم يذكره ابن قاضي الجبل 0 (ص ، 24 ، 27، 39)
[4] - إبراهيم بن علي بن محمد بن أحمد الحنفي ، برهان الـدين بن كمـال الـدين ، المشـهور : بـابن عبد الحق ، انتهت إليه رئاسة المذهب ، مات بدمشق سنة 744 هـ 0(الدرر الكامنة ، 1/46-47 ، وكشف الغطاء ، ص 14)
[5] - ذكر ابن كثير في تفسيره أن : « المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق » ، 2/ 319 ، وقال الزمخشري: «المكاء : 000من مكا يمكو إذا صفر ، 000والتصدية : الصفير » ، الكشاف ، 2/ 211
[6] - محمد بن علي بن أبي طـالب ، القرشي الهاشـمي ، أبو القاسم ، تـابعي ثقة ، كـان رجلاً صـالحاً ، مـات برضوى سنة 73هـ ودفن بالبقيع 0(تهذيب الكمـال في أسـماء الرجـال ، للحافظ جمـال الـدين أبي الحجـاج المزي ، حققه وضبط نصه وعلق عليه د: بشار عواد ، ط1، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1418هـ) ،6/444-445
[7] - إغاثة اللهفان ، 1/ 241

وقال - تعالى -]أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون [، [النجم : 59،60،61] 0

قال عبد الله بن عباس : سامدون في لغة أهل اليمن ؛ لغة حمير ، هو: الغناء ، يقال سمد فلان إذا غنى [1]0

ولو كانت هذه الصفة المذكورة من جملة الدين ، ومما يتقرب به إلى الله - سبحانه- لوجب إظهار شرعها من الشارع ، وبيان حكمها لئلا يكون الدين بدونها ناقصاً ، وقد قال - تعالى -] 000اليوم أكملت لكم دينكم 000[[المائدة: 3]0

ويقول تعالى :] والشعراء يتبعهم الغاوون [[الشعراء : 224]

وبحديث أبي أمامة أن النبي -- : « نهى عن شراء المغنيات وبيعهن ، وتجارة بهن وأكل أثمانهن حرام » [2]000

ويقول - عليه السلام - « لأن يمتلئ بطن أحدكم قيحاً يريه خير له من أن يمتلئ شعراً »[3] 0

قال أبو عبيدة [4]: يريه يأكل بطنه ، ويقال وراه يريه[5] ، قال الشاعر[6] :

وراهن ربي مثل ما قد ورينني وأحمى على أكبادهن المكاويا

وبقوله - - : « كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى »[7]

---

1 - انظر: ذم الملاهي (مع كتاب العقل وفضله) تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا ، تحقيق محمد السعيد بسيوني ، ويسري عبد الغني ، ط1 ، (لبنان بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، 1413هـ) ، ص 73 ، ولسان العرب ، 3/ 219 ، (باب الدال) 0

2 - أخرجه ابن ماجة في سننه ، حقق نصوصه ، ورقم كتبه ، وأبوابه ، وأحاديثه ، وعلق عليه ، محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت : دار الكتب العلمية) ، كتاب التجارات ، باب ما لا يحل بيعه ، 2/733 ، حديث رقم 2168 ، ولفظه : « نهى رسول الله -- عن بيع المغنيات ، وعن شرائهن ، وعن كسبهن ، وعن أكل أثمانهن » 0 وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة 0

3 - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر ، حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن ، 4/120 ، حديث رقم 7155 عن أبي هريرة -رضي الله عنه - : « قال رسول الله -- : لأن يمتلئ جوف رجل قيحاً حتى يريه خير من أن يمتلئ شعراً » 0 وفي لفظ آخر عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن النبي -- قال : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً » 0 4/120 ، حديث رقم 6154

4 - معمر بن المثنى أبو عبيده التيمي ، مولاهم ، البصري النحوي اللغوي ، صدوق أخباري ، وقد رمي برأي الخوارج ، مات سنة ثمان ومئتين ، وقيل بعد ذلك ، وقد قارب المائة 0 [تقريب التهذيب ، ص 962] 0

5 - قال ابن فارس : « فالوري داء يدخل الجسم ، ويقال : وري جلده يري ورياً ، ووراه غيره » 0 (معجم المقاييس في اللغة ، ص 1089 ، باب الواو)

6 - القائل : عبد بني الحسحاس 0 (معجم المقاييس في اللغة ، ص 1089)

7 - قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : « حديث جابر : كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى 0 لم أجد له أصلاً من حديث جابر ، وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ، ولم يخرجه ولده في مسنده»0 الإحياء 2/310

وبحديث زمارة الراعي، وأنه - - وضع أصبعيه في أذنيه ، وعدل عن الطريق حتى انقطع صوتها [1]0

وكذلك ابن عمر فعل 0 فلولا أن ذلك ممنوع من سماعة في شريعته ، لما وضع أصبعيه في أذنيه 0

وقد قال ابن مسعود: "الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب "[2]0

ونحوه عن عمر بن عبد العزيز ، وقال عثمان : "ما تمنيت ، ولا تغنيت ، ولا مست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله -- "[3] فتنزه عن الغناء وتبجح بتركه 0

وقد قال ابن عمر لقوم وفيهم رجل يتغنى : " ألا لا سمع الله لكم ، ألا لا سمع الله لكم"[4] 0

وقد سئل القاسم بن محمد[5] عن الغناء : فقال للسائل : " أنهى عنه واكرهه "[6]0

وقال الشعبي[7] : " لعن المغني والمغنى له "[8]

وقال الضحاك : " الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب " [9]

أما قول علماء الأمصار ، وأئمة الفتوى في سائر الأقطار ،فقد قال أئمتنا : " لو استأجر للغناء والنوح ، أو قراءة شعر ، لم يجز ، ولا أجر له ، لأنها معصية ، والإجارة على المعصية باطلة " ، ولقد بالغ أئمتنا في هذا حتى منعوا منه أهل الذمة أيضاً :

---

[1] - حديث زمارة الراعي ، أخرجه الإمام أحمد في المسند ، كتاب مسند المكثرين من الصحابة ، 2/38 ، حديث رقم 4307 ، وابن ماجة في سننه ، كتاب النكاح باب الغناء والدف ، 1/613 ، حديث رقم 1910 ، عن مجاهد قال : « كنت مع ابن عمر فسمع صوت طبل ، فأدخل إصبعيه في أذنيه ، ثم تنحى حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : هكذا فعل رسول الله -0 « -

[2] - أخرج أبو داود في سننه منه : « الغناء ينبت النفاق في القلب » ، باب كراهة الغناء والزمر ، 4/282 ، حديث رقم 4927 مرفوعاً إلى النبي -- ، وكذا البيهقي في السنن الكبرى ، 10 / 223 ، و السنة ، لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال ، دراسة وتحقيق د: عطية بن عتيق الزهراني ، ط1، (الرياض : دار الراية للنشر والتوزيع ، 1415هـ) ، ص 73 ، وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان ، 1 / 247 : « هو صحيح عن ابن مسعود ومن قوله »

[3] - أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب الطهارة وسننها ، باب كراهة مس الذكر باليمين ، 1/113 ، حديث رقم 311 ، ولفظه : « ما تغنيت ، ولا تمنيت ، ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله -- »

[4] - انظر : ذم الملاهي ، ص 74 ، وتلبيس إبليس ، ص 306

[5] - القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي ، ثقة ، أحد فقهاء المدينة ، مات سنة 106للهجرة 0 (تقريب التهذيب) 0

[6] - انظر : ذم الملاهي ، ص 74 ، وتلبيس إبليس ، ص 306

[7] - الضحاك بن مزاحم ، أبو إسحاق ، أو أبو الفضل ، محمد الخراساني ، صدوق كثير الإرسال ، مات بعد المائة 0 (تقريب التهذيب ، ص 459) 0

[8] - انظر : ذم الملاهي ، ص 74 ، وتلبيس إبليس ، 306

[9] - انظر : تلبيس إبليس ،ص 306

قال أبو يوسف[1] في حق أهل الذمة : " إنهم يمنعـون من المزامير، وضرب العيدان ، والغنـــاء ، والصنوج ، والطبول ، واللعب بالحمام وطيرانها في الرستاق[2] ، والسوار في الهدية ، ولا من يغني من النــاس ؛ لأنه يجمعهم على كبـيرة ، وفي شــروط العدالة ، أن لا نلعب بشيء من الملاهي ، وننظر في هذا إن كانت مستشــنعة ؛ نحو الحـداء وضـرب القضـيب، جـازت شـهادتهم ، إلا أن يتفـاحش ، بـأن يرقصـــوا به ، فيـــدخل في حد المعاصي والكبـــائر ، وحينئذ تســـقط العدالة 0

وقد جعل أبو حنيفة الغناء من جملة ما يبتلى به المرء ، وهو مذهب سائر الكوفيين : سـفيان الثـوري ،وحمـاد والشـعبي ، لا خلاف بينهم في ذلك ، وكذلك أهل البصرة لا يخالفون فيه ويكرهونه ، إلا ما روي عن عبيد الله بن الحسن العنبري[3] أنه كان لا يرى بأساً وكــذلك إبراهيم بن سعد[4][5] 0

وأما مالك فإنه نهى عن الغناء واستماعه ، وقال: " إذا اشترى جارية
فوجدها مغنية ، كان له ردهـا بالعيب " ، وهو مذهب أهل المدينة ، إلا إبراهيم بن سعد [6]0

وقد سئل مالك عما يترخص به أهل المدينة من الغناء ، فقال : " إنما يفعله عندنا الفساق "[7]

---

[1] - يعقوب بن إبراهيم ، ابن صاحب رسول الله -- عبد الرحمن ابن عوف الإمام الحافظ الحجة ، أبو يوسف الزهري 0[السير ، 9/491]

[2] - الرستاق - معربه تعني - موضع فيه مـزدرع ، وقـرى أو بيـوت مجتمعة0 [المعجم الوسـيط 1/341، (بـاب الراء)] 0

[3] - عبيد الله بن الحسن بن الحصـــين بن أبي الحر العنبـــير ، البصـــري ، قاضـــيها ، ثقة ، فقيه ، مـــات ســـنة 68للهجرة (تقريب التهذيب ، ص 637) 0

[4] - إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن صاحب رسول الله -- ، عبد الرحمن بن عوف ، الإمام الكبير أبو إسـحاق القرشي الزهري العوفي المدني ، توفي 183هـ 0 قـال الإمـام الـذهبي عن إبـراهيم بن سـعد : « كـان ممن يترخص في الغناء ، على عادة أهل المدينة ، وكأنه لِيْمَ في ذلك ، فنزعج على المحـدثين ، وحلف أنه لا يحـدث حتى يغني قبله ، فيما قيل» 0(السير 8/ 304، 306، 307)

[5] - انظر :تحريم الغناء والسماع ، تأليف أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ، (مع رسالة في تحريم الجبن الرومي) ، حققهما وقدم لهما ووضع فهارسهما : عبد المجيد تركي ، ط1 ، (بيروت : دار الغروب الإسلامي ، 1997م) ، ص 165، إذ قـال الطرطوشي : «000وما خـالف في الغنـاء إلا رجلان ! إبـراهيم بن سـعد ، فـإن الساجي حكى عنه أنه لا يرى بأساً ، والثاني عبيد الله بن الحسن العنبري ، قاضي البصـرة ، وهو مطعـون فيه ، 000وأما إبراهيم بن سعد ، فرجل من أهل الحديث ، ليس من أهل الاجتهاد والفتيا في الدين ، ثم لم يوضح الراوي - المقصود به الساجي - صفة ما أجـازه من الغنـاء ، فلعله نشـيد القصـائد الـتي لا تطـرب ، ولا تلحن على نغمات الموسيقى 000» 0 تحريم الغناء والسماع ، ص 164-165 ، و تلبيس إبليس ، ص 306 ، وإغاثة اللهفان ، 1/230 ، وقال ابن القيم : « عبيد الله بن الحسن العنبيري ، قاضي البصـرة ، وهو مطعـون فيه » 0

[6] - انظر: تحريم الغناء والسماع ، ص 161 ، وتلبيس إبليس ، ص 300 ، وإغاثة اللهفان ، 1/226

[7] - انظر:تحريم الغناء والسماع ، 162 ، و تلبيس إبليس ، ص 299 ، وإغاثة اللهفان ، 1/227

وأما الشافعي 000 فيقول: " تركت شيئاً بالعراق يقولون له التغبير ، أحدثه الزنادقة ، يصدون به الناس عن القرآن " [1]0

قال البيهقي : " الرجل يغني يتخذ الغناء صناعة له ، يؤتى عليه ويؤتى له ، ويكون مشهوراً معروفاً ، والمرأة ، قال الشافعي: " لا تجوز شهادة واحد منهما ، لأنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ، فإن من فعل هذا كان منسوباً إلي السفه ، ومن رضي هذا لنفسه كان مستخفاً ، وإن لم يكن محرماً بيّن التحريم 0

وحكى الطبري [2]عن الشافعي : " أن الرجل إذا جمع الناس لسماع غناء الجارية فهو سفيه مردود الشهادة ، وغلظ في ذلك حتى قال : هو دياثة ، وحكي كراهته للتغبير : وهو الطقطقة بالقضيب ، وقال : " وضعته الزنادقة "0

أما الإمام أحمد ، فقال الأثرم[3] : "سمعت أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - يقول : " التغبير محدث " 0

قال أبو الحارث [4]سألت أبا عبد الله ، وقلت له : " أنه ترق عليه القلوب" 0

فقال: " هو بدعة " ، وكرهه ونهى عن استماعه 0

قال عبد الله بن داود[5] : " أرى أن يضرب صاحب التغبير " ، والتغبير اسم لهذا السماع 0

وروي[6] عن أحمد أنه قال : " الغناء ينبت النفاق في القلب ، فلا يعجبني" ، وذهب بعض أصحاب الرأي إلى تحريمه 0

---

[1] - انظر : تلبيس إبليس ، ص 300 ، وإغاثة اللهفان ، 1/229

[2] - الطبري هو : القاضي أبو الطيب الطبري (توفي 450 هـ) ، تحريم الغناء والسماع ، ص 163 ، وانظر : تلبيس إبليس ، ص 301

[3] - الإمام الحافظ العلامة : أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الإسكافي الأثرم الطائي ، أحد الأعلام ، مصنف السنن ، وتلميذ الإمام أحمد ، ولد في دولة الرشيد ، ومات في مدينة إسكاف في حدود الستين ومئتين ، (السير 12/ 623-624، 626)

[4] - أحمد بن محمد أبو الحارث الصائغ ، من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ، أكثر رواية المسائل عنه 0 (تاريخ بغداد ، 5/128)

[5] - قال محقق كتاب كشف الغطاء ، ربيع بن أحمد : « بعد بحث طويل يترجح لي أنه :الخريبي - إن شاء الله- » (كشف الغطاء ، ص 34) وهو : «عبد الله بن داود بن عامر الهمداني ، أبو عبد الرحمن الخريبي ، ثقة عابد مات سنة 213هـ » 0 (السير ، 9/ 346)

[6] - عبد الله ابن الإمام أحمد ، انظر : إغاثة اللهفان ، 1/229

قال أحمد : " فمن مات وخلف ولداً يتيماً وجارية مغنية ، فاحتاج الصبي إلى بيعها ، تُباع ساذجة 0 قيل له : إنها تساوي مغنية ثلاثين ألف ، وتساوي ساذجة عشرين دينار، قال : " لا تباع إلا على إنها ساذجة " [1] 0

فهذا كتاب ربنا - سبحانه - وهذه سنة نبيه نبي الرحمة -ﷺ-، وهذه أقوال أئمة الدين ، والأمناء على شريعة سيد العالمين ، الذين استعملهم الله لخدمتها ، وجعل أقوالهم المأخوذ بها ، ينهون عن السماع الموصوف بهذه الصفات من فعله ، ويجعله بعضهم مسقطاً للعدالة ، وبعضهم ذاهباً للمروءة ، وبعضهم من قبيل السفهاء والمجانين ورعونات النفس ، فبأي شيء يعدل عن ذلك 0 أم في أي مسلك يبتغي فيه الهدى من المسالك 0 ثم لم يكتف بإباحة فعله على الوجه المسؤل عنه ، حتى جعلوه قربة وطاعة، ومثار إشراق النفوس بالأنوار الإلهية ، وذلك كذب وافتراء ، وما أشبههم بالدخول تحت مفهوم قوله - تعالى - :] أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله000 [،[الشورى : 21] 0

وإن ذلك قريب من الكذب على الله وعلى رسوله ، لا سيما إن اجتمعوا فيه على الصور الحسان ، والملابس الجميلة ، واتخاذ الأرائج من العنبر ونحوه، مما يحرك النفوس الشهوانية إلى إكثار النظر وتكريره ، وربما دعته نفسه إلى ملامسة بدنه ، فإن تمكن الشيطان منه دعاه إلى أفحش من ذلك 0

قال بقية[2] : اللوطية على ثلاثة أقسام : قسم ينظرون ،وقسم يصافحون ، وقسم يفعلون ذلك الفعل القبيح[3] ، ودعوى هؤلاء جواز ذلك ، وأنه قول الشافعي ، فالكلام في اجتماع هذه الأمور : من الرقص والغناء واستعمال آلة[4] الضرب ،وحضور المرد والنساء ، وربما كان ذلك في بيت من بيوت الله - سبحانه - ، فهذا قدر لم يفعله أحد بحله 0

وقد بلغت الوقاحة بقوم من المتصوفة إلى أن ادعوا فيما ذُكِر في صدر الاستفتاء من حضور السماع والرقص : أنه يثير ساكن المحبة ، ويحرك كامن الوجد 0

---

[1] - انظر : المغني ،لابن قدامة ، تحقيق وتعليق محمد سالم محيسن و شعبان محمد إسماعيل (الرياض : مكتبة الرياض الحديثة بدون تاريخ طبع) ، 4/246-247 ، و إغاثة اللهفان ، 1/230

[2] - بقية بن الوليد بن صائد بن كعب الكلاعي ، أبو يُحمد ، مات سنة 97هـ 0 (تقريب التهذيب ، 174)

[3] - انظر: تحريم الغناء والسماع ، ص 256

[4] - في فتاوى في الغناء « إلى » ، وما ذكرت مأخوذ من كشف العطاء ، ص 35

ولعمري لو كان السماع خالياً من الصور الحسان ، وحسن صـوت المغـني ، لا فيه دف ولا مزمـار ، لما أشـرقت نفسه به ، ولا اتخـــذه قربة ، فعلم أن الـــذي حمله على ذلك أنما[1] هو شــــهوات نفسانية ، وطلبات دنيوية ، وهـذه طرائق أربـاب البطالة ، ومن غلبت عليهم محبة ما دعاهم الشيطان إليه، فنعوذ بالله من الخذلان 0

ولو بسط القول ، في تفاصيل أفعالهم وأقـوالهم ، وحقيقة أحوالهم ، لرأيت بدائع البدع ومنكـرات الشـنع ، فالله أسـأل العصـمة والهداية ، وبلطفه الاسـتعانة والكفاية ، وهو حسـبنا ونعم الوكيل »[2] 0

ثم أورد ابن قاضي الجبل صفة الجواب السادس[3] ،وهو جوابه على هذا الاستفتاء ، فقـال : « اللهم وفق للصـواب ، الهيئة المسـؤل عنها من السماع ، بدعة محرمة باتفاق الجمهـور من العلمـاء ، فاعل هذا والحال هذه آثم ساقط المروءة مردود الشهادة 0 وقد تظــاهرت الأدلة من الكتــاب والســنة ، على ذم ذلك والنهي عنه ، وكشف وجه فساده 0

وكثر ذم السلف والأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء لهذه الأفاعيل ، والنهي عن هذه الأباطيل ، ولو بسط ذلك لاحتمل مجلدات ، وقد تضمنت هـذه الحالة المسـؤل عنها ، وجوهـاً نهي عنها شـرعاً ، واجتماع الدف والشبابة والغناء ، منهي عنه باتفاق الجمهور ، وحضور النساء مع الرجال على تلك الحالة غير سائغ أيضاً 0

ومن أعظم البدع والمنكرات : دعواهم كون ذلك قربة يتقرب به إلى الله -سبحانه - ، فإن هـذه الـدعوى كـذب من القـول ، وباطل من الكلام ، وافتراء على الشـريعة المطهـرة ، طهرها الله - تعـالى - عن مثل أفعـال هـؤلاء الجهلة الضـلال ، مرتكـبي الباطل ، مظهـري المحال 0

فقد عملوا الطريقة في الحقائق ، فإنه إنما يتقرب إلى الله - عز وجل- بما شرع، لا يتقرب إليه بالمحرمات ومنكرات البدع 0

[1] - في فتاوى في الغناء « أنها » ، والمعنى بها لا يستقيم ، وما أثبت مأخوذ من كشف الغطاء ، ص 36

[2] - فتاوى في الغناء ، ص 23-35 ، وكشف الغطـاء ، ص 28-ـ 36 0 وأورد ابن قاضي الجبل صـفة الجـواب الرابع والخامس ، فذكر: «صفة الجواب الرابع ، جواب الشيخ أبي عمر بن الوليد المـالكي ، قـال : الحمد لله وهو حسبي : مثل المكتوب أعلاه يقول أبو عمرو بن الوليد المـالكي » وصـفة الجـواب الرابع : « جـواب أخيه الشيخ عبد الله ، قال : ولذلك يقول عبد الله بن الوليد المالكي » ، ص 35

[3] - انظر : كشف الغطاء ، ص 37

وقولهم إن الرقص سبب للمغفرة ، وإن المنِكر عليهم محجوب ، كذب وبهت 0

وإمساكهم النيران وإظهار الآذن ، ونحو ذلك من أفعالهم كدم الآخرين ، الذي يتخيل إلى الرائي كونه دماً حقيقياً ، أمور منكرة ، ليست أحوالاً للصلحاء ، و لا كرامات للأولياء ، ومن اعتقد ذلك كرامة ؛ فهو أضل منهم0

والحقيقة هي التقرب إلى طاعة الله - تعالى - بالإخلاص ، وإصلاح الباطن علماً واعتقاداً وأدباً ، موافقاً للأفعال الظاهرة ، هي من الشريعة المأمور بها 0

ومن فعل الهيئة المسؤل عنها ، من السماع فقد خالف أمر الشريعة في ذلك ، وخالف مدلول الحقيقة ، إذ لم يراع أمر الباطن ، بالكف عن استماع الملاهي المطربات0

وهذه الأفعال لم يفعلها أحد من السلف الماضين ، ولا الأئمة المتَّبعين، بل كثر الذم لها من السلف ، وتبعهم على ذلك الدهماء من الخلف ، ويسوغ الإنكار على هؤلاء ويثاب المُنْكِرُ عليهم بإنكاره 0

فليس الاستغفار من غير عزم القلب والندم ، توبة معتبرة ، وحديث اللعب بالحراب ، ليس فيه دلالة على هذا السماع ، وحديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - في ذكر بنات النجار وهن يضرب بدف ، فيه ذكر الدف غير ذي الجلاجل - وهي الأجراس الصغيرة - بمفرده من غير شبابة ، وليس النزاع فيه 0

فقد جاء في الدف بمفرده غير هذا ، وإذا رفع أمر هؤلاء الفاعلين لهذه الهيئة المنكرة ، والأفعال المبتدعة ، إلى ولي الأمر - أيده الله تعالى - منعهم عن مثل هذه الأفعال ، وزجرهم عن اختلاط النساء بالرجال في هذه الحال ، وعزرهم التعزير الرادع لأمثالهم ، بمثله ليكون ذلك سبباً صاداً لأمثال هؤلاء عن ارتكاب مثل ذلك ، ويجب المبالغة بالتعزير على قولهم أن ما وصلوا إليه هو اللباب دون غيرهم ، إنهم متقربون بأفعالهم المنكرة ، فإن التقرب إلى الله - تعالى - إنما يكون بما أمر به وحض عليه ، ودعى إليه 0

قال الشيخ موفق الدين الحنبلي[1] : " هذه الأفعال معصية ولعب ، ذمه الله ورسوله ، وكرهه أهل العلم وسموه بدعة ، ونهوا عن فعله ، ولا يتقرب إلى الله - تعالى - بمعاصيه ، ولا يطاع بارتكاب مناهيه ، ومن جعل وسيلته إلى الله معصيته ، كان حظه الطرد

[1] - موفق الدين المقدسي ، أحد الأئمة الأعلام ، أبو محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي صاحب التصانيف ، توفي سنة 620هـ 0 (السير 22/165، وشذرات الذهب ، 5/88) 0

والإبعاد ، ومن اتخذ اللهو و اللعب ديناً ، كان كمن سعى في الأرض بالفساد ، ومن طلب الوصول إلى الله - عز وجل- من غير طريق رسول الله -- وسنته ، فهو آيس من الوصول إلى المراد" 0

وقال الشيخ تقي الدين أبو عمرو بن الصلاح الشافعي :" حق على ولاة الأمر - وفقهم الله وسددهم - قمع هذه الطائفة ، وبذل الوسع في إعدام أفعالهم الخبيثة ، واستتابتهم ، وإن لا يأخذهم في الله لومة لائم " 0

وقال : " وقولهم في السماع إنه من القربات والطاعات ، قول مخالف لإجماع المسلمين ، وإجماعهم على خلاف هذا ، منقول محفوظ معلوم ، ثم قال: ليعلم أن الدف والشبابة والغناء ، إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب ، والله تعالى أعلم»[1] 0

هذه مواقف وردود علماء السلف ، أئمة الهدى ، على ما أحدثه الصوفية ، من الغناء والسماع المحرم ، جمعها الإمام ابن قاضي الجبل ، فبين من خلالها حرمة ما يقدم عليه الصوفية ، من غناء وسماع ، وما يصحبهما من محرمات أخرى ، وأن هذه الأفعال مخالفة للدين القويم ، وهدي خير المرسلين -- 0

[1] - فتاوى في الغناء ، ص 35-39 ، وانظر: إغاثة اللهفان ، 1/228- 229

المبحث السادس : ترجمة موجزة للإمام ابن كثير ، ومواقفه العملية والقولية ، في الرد على الصوفية 0

المطلب الأول: ترجمة موجزة للإمام ابن كثير 0

1- اسمه ونسبه :
عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القيسي البصروي الدمشقي الشافعي [1] 0

2- مولده : ولد الإمام ابن كثير ، سنة 700 هـ ، أو بعدها بيسير[2] ، بقرية من أعمال بصرى[3] 0

3- مؤلفاته :
للإمام ابن كثير العديد من المؤلفات منها : تفسير القرآن العظيم ، و فضائل القرآن وتاريخ جمعه وكتابته ولغاته ، جامع المسانيد والسنن والهادي إلى أقوم السنن ، الأحكام الكبرى ، ولم يكمل ، وجمع التاريخ ، الذي سماه : البداية والنهاية ، وعمل طبقات الشافعية ، وجرح أحاديث أدلة التنبيه ، وأحاديث مختصر ابن الحاجب الأصلي، وشرع في شرح البخاري[4] 0

4- عقيدته ، وثناء العلماء عليه :
الإمام الحافظ ابن كثير ، سلفي العقيدة ، من أهل السنة والجماعة 0

قال ابن حجر : « كان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة ، سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها الناس بعد وفاته »[5]
« ومن جملة مشايخه شيخ الإسلام تقي الدين بن تيميه ، ولازمه وأحبه حباً عظيماً 000 وأفتى ودرس ، وله تصانيف مفيدة ، منها التفسير المشهور»[6]

---
[1] - الدرر الكامنة ، 1/ 373-374 ـ و شذرات الذهب ، 6/ 231 ـ والبدر الطالع ، 1/102
[2] - الدرر الكامنة ، 1/ 374، و شذرات الذهب ، 6/ 231
[3] - البدر الطالع ، 1/102
[4] - مقدمة تفسير القرآن العظيم ـ ص 9-11 ،و الدرر الكامنة ـ 1/ 374
[5] - الدرر الكامنة ، 1/ 374
[6] - البدر الطالع ، 1/103 ـ وانظر : شذرات الذهب ـ 6/231

قال الحسيني[1] : « أفتى ودرس وناظر في الفقه والتفسير والنحو ، وأمعن النظر في الرجال ، والعلل 000ذكره الذهبي في مسودة طبقات الحفاظ ، وقال في المعجم المختص هو: فقيه متقن ومحدث محقق ، ومفسر نقاد وله تصانيف مفيدة »[2]

5- وفاته : توفي الإمام ابن كثير - رحمه الله - سنة 774 هـ [3] 0

المطلب الثاني : مواقف الإمام ابن كثير العملية والقولية ، في الرد على الصوفية0

1- التلقي:

قال في ترجمة البعلبكي[4]: «000وقعت له كائنة في أيام ، الظاهر أنه أصيب في عقله ، أو زال فكره ، أو قد عمل على الرياضة ، فاحترق باطنه من الجوع ، فرأى خيالات لا حقيقة لها ، فاعتقد أنها أمر خارجي ، وإنما هي خيال فكري فاسد »[5]

2- الاستدلال :

قال الإمام ابن كثير مفنداً زعم الصوفية ، واستلالهم بالقرآن الكريم - كذباً وبهتاناً - على إسقاط التكاليف : « ويستدل بهذه الآية الكريمة ، وهي قوله - تعالى - :] واعبد ربك حتى يأتيك اليقين [، [الحجر : 99] ، على أن العبادة ؛ كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان مادام عقله ثابتاً ، فيصلي بحسب حاله ، كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - أن رسول الله -- ، قال : " صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب "[6] 0

ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين : المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم ، وهذا كفر وضلال وجهل 0

---

[1] - محمد الحسيني الدمشقي الشافعي أبو المحاسن ، مؤرخ ، من آثاره: في ذكر التواريخ والآثار ، توفي سنة 765هـ 0(معجم المؤلفين ، 9/ 264)

[2] - ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ، ص 38

[3] - الدرر الكامنة ، 1/ 374 ، و شذرات الذهب ، 6/ 232،وانظر: ترجمته في مقدمة تفسير القرآن العظيم ، تقديم د : يوسف المرعشلي، فهي ترجمة وافية 0

[4] - زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكي الحنبلي ، صنف في الحديث ، والفقه ، والتصوف ، وأعمال القلوب ، توفي سنة 734هـ 0 (البداية والنهاية 14/588)

[5] - البداية والنهاية ، 14/588

[6] - سبق تخريجه ، ص

فإن الأنبياء - عليهم السلام - كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله ، وأعرفهم بحقوقه ، وصفاته وما يستحق من التعظيم ، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات ، إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين ههنا الموت »[1] 0

3- الكشف :

قال في ترجمة يوسف الأقميني : « ويزعمون - أتباعه من الصوفية- أن له أحوالاً وكشوفاً كثيرة ، وكان كثير من العوام وغيرهم يعتقدون صلاحه وولايته ، وذلك لأنهم لا يعلمون شرائط الولاية ولا الصلاح ، ولا يعلمون أن الكشوف قد تصدر من البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ؛ كالرهبان وغيرهم ، وكالدجال وابن صياد وغيرهم ، فإن الجن تسترق السمع وتلقيه على أذن الإنسي ، ولا سيما من يكون مجنوناً ، أو غير نقي الثياب من نجاسة 0

فلا بد من اختيار صاحب الحال ، بالكتاب والسنة ، فمن وافق حاله كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- ، فهو رجل صالح سواء كاشف أو لم يكاشف ، ومن لم يوافق فليس برجل صالح سواء كاشف أو لا »[2] 0

فهذا هو الميزان الحق ، وطريق النجاة ، فيعرض كل حادث على منهج الشرع الحنيف ، سواء من هؤلاء الدجالين ، أو من يماثلهم في كل زمان ومكان ، فما وافقه قبلناه ، وما يعارضه ، رفضناه 0

وقال في ترجمة الشيخ إبراهيم بن سعيد الشاغوري : « كان مشهوراً بدمشق ، ويذكرون له أحوال ومكاشفات على ألسنة العوام ، ومن لا يعقل 000وكان العوام يذكرون له مكاشفات وكرامات ، وكل ذلك خرافات من خرافات العوام ، وأهل الهذيان كما يعتقدون ذلك في غيره من المجانين والمولهين »[3]

وقال في ترجمة الرحبي[4] : « كان يذكر له مكاشفات ، واطلاع على مغيبات ، وغير ذلك من المقامات ، ورأيت ابن الجوزي يتكلم فيه ويقول: " كان عرياً من العلوم الشرعية " »[5] 0

4- موت الخضر - عليه السلام - :

قال تعالى :] وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد 000[، [الأنبياء : 35] 0

---

[1] - تفسير القرآن العظيم ، 2/ 581
[2] - البداية والنهاية ، 13/ 254
[3] - البداية والنهاية ، 13/343
[4] - حماد ين مسلم الرحبي الدباس ، كان الناس ينذرون له فيقبل ذلك ، ثم ترك ذلك وصار يأخذ من المنامات ، وينفق على أصحابه ، توفي 526 هـ 0 (البداية والنهاية ، 12/702) 0
[5] - البداية والنهاية ، 12/702

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة :« استدل بهـــذه الآية الكريمة ، من ذهب من العلمـــاء إلى أن الخضر - عليه السلام - ، مات وليس بحي الآن ؛ لأنه بشر سواء كان ولياً أو نبياً أو رسولاً »[1] 0

5- الحلول والاتحاد :

قال الإمام ابن كثير : « وقد أخطأ الحلاج في المقامين ، - أي اتبـــاع التنزيل ، وخـــوف التحويل - ، فلم يتبع التنزيل ، ولم يبق على الاستقامة ، بل
تحول عنها إلى الاعوجاج ، والبدعة والضلالة ، نسأل الله العافية »[2]

وقال : « ومما يدل على أنه - الحلاج - كان ذا حلول في بدء أمره ، أشياء كثيرة ، منها : شعره 000 »[3]

وقال : « ونحن نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يكن قاله ، أو نتحمل عليه في أقواله وأفعاله »[4]0

وقال في ترجمة العفيف التلمساني : « وقد نُسب هذا الرجل إلى عظائم في الأقوال والاعتقاد ، في الحلول ، والاتحاد ، والزندقة ، والكفر المحض»[5] 0

وقال في ترجمة محمد بن سوار الحريري : « وكان أديباً فاضلاً في صـناعة الشـعر ، بارعـاً في النظم ، ولكن في كلامه ونظمه ، ما يشـير إلى نـوع الحلـول والاتحـاد، على طريقة ابن عـربي ، وابن الفارض، 000والله أعلم بحاله ، وحقيقة أمره »[6]

وقال في ترجمة أبي العباس بن عطاء ، أحد أئمة الصوفية : « كان موافقاً للحلاج ، في بعض اعتقاده على ضلال ، 000وهذا الرجل ممن كان اشتبه عليه أمر الحلاج ، وأظهر موافقته»[7] 0

6- العبـادات :

وذكر في ترجمة علي الكردي أنه : « 000ما رآه أحد يصلي ، ولا يصوم»[8]

---

[1] - تفسير القرآن العظيم ، 3/187
[2] - البداية والنهاية ، 11/161
[3] - البداية والنهاية ، 11/159 ، وانظر : ص من هذا البحث 0
[4] - البداية والنهاية ، 11/158
[5] - البداية والنهاية ، 13/375
[6] - البداية والنهاية ، 13/328
[7] - البداية والنهاية ، 11/171
[8] - البداية والنهاية ، 13/127

وقال في ترجمة إبراهيم الشاغوري : « ولم يكن ممن يحافظ على الصلوات ،ولا يصوم مع الناس »[1]

وقال في ترجمة سليمان التركماني : « 000 كان لا يتحاشى من النجاسات ولا يتقيها ، ولا يصلي الصلوات ، ولا يأتيها »[2]

وقال في ترجمة القميني : « وربما كاشف بعض العوام ، ومع هذا لم يكن من أهل الصلاة ، وقد استتابه الشيخ تقي الدين بن تيميه ، وضربه على تـرك الصـلوات ، ومخالطة القـاذورات ، وجمع النسـاء والرجال حوله في الأماكن النجسة »[3] 0

وقال في ترجمة الشاغوري : « لم يكن ممن يحافظ على الصلوات»[4] 0

وقال في ترجمة علي الحريري: « كان عند هذا الحريري ، من الاسـتهزاء بـأمور الشـريعة ، والتهـاون فيها ، من إظهـار شـعائر أهل الفسوق والعصيان شيء كثير ، وانفسد بسببه جماعة كبيرة من أولاد كبراء دمشق ، وصاروا على زي أصحابه ، وتبعوه بسبب أنه كان خليع العــذار 000وتــرك الإنكــار على أحد فيما يفعله ، وتــرك الصــلوات وكثرت النفقات ، فأضل خلقاً كثيراً ، وأفسد جماً غفيراً »[5] 0

ونقل ابن كثير عن الكردي ، أنه : « مر يوماً على الخطيب جمال الدين الدولعي فقـال له : يا شـيخ علي أكلت اليـوم كسـيرات يابسة وشربت عليها الماء فكفتني ، فقال له الشـيخ علي الكـردي : ما تطلب نفسك شيئاً آخر غير هذا ؟

قال : لا 0 فقال : يا مسـلمين من يقنع بكسـرة يابسة ، يحبس نفسه في هذه المقصورة ، ولا يقضي ما فرضه الله عليه من الحج »[6]

وقال في ترجمة ابن سبعين : « كان إذا رأى الطائفين حـول الـبيت ، يقـول عنهم : كـأنهم الحمـير حـول المـدار ، وأنهم لو طــافوا به كــان أفضل من طــوافهم بــالبيت ، فالله يحكم فيه وفي أمثاله ، وقد نقلت عنه عظائم من الأقوال والأفعال »[7] 0

7- الإباحيــة :

---

[1] - البداية والنهاية ، 13/343
[2] - البداية والنهاية ، 14/483
[3] - البداية والنهاية ، 14/ 535
[4] - البداية والنهاية ، 13/343
[5] - البداية والنهاية ، 13/ 205
[6] - البداية والنهاية ، 13/127- 128
[7] - البداية والنهاية ، 13/ 303

نقل الإمام ابن كثير عن غير واحد من العلماء ، في ترجمة محمد بن طاهر[1]، ما نصه : « 000 صنف كتاباً في إباحة السـماع ، وفي التصـوف 000 لا يحتج به ، صـنف في جـواز النظر إلى المـرد ، وكان يذهب مذهب الإباحية»0

ثم نقل له من شعره قوله في هذه الأبيات :

دع التصوف والزهد الذي اشتغلت به خوارج أقـــوام من الناس
وعج على ديرداريا فإن به الرهـ ـبان مـا بين قسيس وشماس
واشـرب معتقة من كف كافـــرة تسـقيك خمـرين من لحظ ومن كاس
ثم اســـتمع رنة الأوتـــار من رشــــإٍ مهفهف طرفه أمضى من المـاس[2]

8- الغلو في الأولياء :

قال الإمام ابن كثير في ترجمة السيدة نفيسة ، تعليقاً على اعتقاد أهل مصر فيها: « وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقـادهم فيها وفي غيرها كثيراً جـداً ، ولا سـيما عـوام مصر ، فـإنهم يطلقـون فيها عبارات بشـيعة مجازفة تـؤدي إلى الكفر والشـرك ، وألفاظـاً كثـيرة جداً ينبغي أن يعرفوا إنها لاتجوز ، 000والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات ، وأصل عبادة الأصنام من المغـالاة في القبور وأصحابها ، وقد أمر النبي -- ، بتسوية القبور وطمسها ، والمغالاة في البشر حرام ، ومن زعم أنها تفك الخشب ، أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك »[3]

وقال : « فكل من كان تقياً كان وليـاً» [4] ، فليست الولاية مقصورة على أحد ، أو مختص بها أحد من المؤمنين دون غيره 0

وقال في ترجمة الشيخ عبد القادر : « لأتباعه وأصحابه فيه مقالات ، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومكاشفات ، أكثرها مغالاة »[5] 0

9- الكــرامات :

---

[1] - محمد بن طاهر بن علي بن أحمد أبو الفضل المقدسي ، ولد سنة 448 هـ ، وتوفي في بغداد سـنة 507هــ (البداية والنهاية ، 12/667-668)
[2] - البداية والنهاية ، 12/ 667
[3] - البداية والنهاية ، 10 / 703
[4] - تفسير القرآن العظيم ، 2/438
[5] - البداية والنهاية ، 12/768

قال في ترجمة اليونيني[1] : « ذكر أنه كان يحج في بعض السنين في الهواء ، وقد وقع هذا لطائفة كبيرة من الزهاد وصالحي العباد ، ولم يبلغنا هذا عن أحد من أكابر العلماء »[2]

وقال في ترجمة الشاغوري : « وكان العوام يذكرون له مكاشفات وكرامات ، وكل ذل خرافات من خرافات العوام ، وأهل الهذيان كما يعتقدون ذلك في غيره من المجانين والمولهين »[3] 0

ونقل ابن كثير في التفسير عن القرطبي أنه قال : « قال علماؤنا من أظهر الله على يديه ممن ليس بنبي كرامات وخوارق العادات ، فليس ذلك دالاً على ولايته ، خلافاً لبعض الصوفية والرافضة »0 ثم أضاف : « وقد استدل بعضهم على أن الخارق قد يكون على يد غير الولي ، بل قد يكون على يد الفاجر والكافر أيضاً ، بما ثبت عن ابن صياد أنه قال هو الدخ[4] حين خبأ له رسول الله - ﷺ-: [فارتقب يوم تأت السماء بدخان مبين] [الدخان : 10] ، وبما كان يصدر عنه أنه كان يملأ الطريق إذا غضب ، حتى ضربه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - 0

وبما ثبتت به الأحاديث عن الدجال بما يكون على يديه من الخوارق الكثيرة، من أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت ، وتتبعه كنوز الأرض مثل اليعاسيب ، وأن يقتل ذلك الشاب ثم يحييه ، إلى غير ذلك من الأمور المهولة»[5]0

10- السماع :

---

[1] - عبد الله اليونيني ، الملقب أسد الشام ،من قرية ببعلبك ، يقال لها : يونين ، توفي سنة 617 هـ 0 (البداية والنهاية 13/110)

[2] - البداية والنهاية ، 13/110

[3] - البداية والنهاية ، 13/343

[4] - الدخ : الدخان ، (لسان العرب ، 3/14، باب الخاء)

[5] - تفسير القرآن العظيم ، 1/ 81-82 ، وانظر : 1/151 ، وحديث الدجال أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن ، وأشراط الساعة ، 4/2251 ، حديث رقم 2137 ، عن النواس بن سمعان قال : « ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رجعنا إليه عرف ذلك فينا 0فقال :"ما شأنكم" قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة ،فخفضت فيه ورفعت ،حتى ظنناه في طائفة النخل 0 فقال : "غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم ،وإن يخرج ،ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ،والله خليفتي على كل مسلم ،إنه شاب قطط ،عينه طافئة ، شبيه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف 0 إنه خارج خلة بين الشام والعراق ، فعاث يميناً وشمالاً ، يا عباد الله فاثبتوا " قلنا :يا رسول الله وما لبثه في الأرض 0 قال : "أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم " قلنا : "يا رسول الله ، فذلك اليوم الذي كسنة ، أتكفينا فيه صلاة يوم 0 قال : " لا ولكن اقدروا له" قلنا : " يا رسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال : " كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنوا به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم ، أطول ما كانت ذراً 000»

أفتى[1] الإمام ابن كثير ، بحرمة ما يفعله الصوفية ، من السماع المبتدع، وبيّن الأدلة على ذلك ، فقال : « حسبي الله ونعم الوكيل ، استعمال آلات الطرب والاستماع إليها حرام ، كما دلت على ذلك الأحاديث النبوية ،

ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن غنم الأشعري ، قال : " حدثني أبو عامر ،أو أبو مالك والله ما كذبني ، أنه سمع النبي -ﷺ- ، يقول : " ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الخمر والحرير والمعازف " ، وذكر الحديث بطوله 0 وقد رواه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم[2] ، ورواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده[3]، وأبو داود[4] وابن ماجة[5] ، في سننهما بأسانيد صحاح، لا مطعن فيها ، وصححه غير واحد من الأئمة ، والمعازف هي آلات الطرب قاله الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في صحاحه[6] ، وهو معروف في لغة العرب وعليه شواهد ، ثم نقل غير واحد من الأئمة إجماع العلماء على تحريم اجتماع الدفوف والشبابات ، ومن الناس من حكى في ذلك خلافاً شاذاً ، وأما انفراد كل واحد من الدف واليراع [7] ، ففيه نزاع معروف في مذهب الإمام الشافعي 0

والذي عليه أئمة الطريقة العراقية التحريم ، وهم أقعد بمعرفة المذهب من الخراسانين ، ويتأيد ما قالوه بالحديث المتقدم ، ولا يستثنى من ذلك إلا ضرب الدف للجواري في مثل أيام الأعياد ، وعند قدوم الغائب المعظم ، وفي العرس كما دلت على ذلك الأحاديث كما هو مقرر في مواضع ، ولا يلزم من إباحة ذلك في بعض الأحوال إباحته في كل حال ، كما أن في لبس الحرير إباحة ذلك للحكة ، وفي السفر وفي الحرب إذا فاجأته ولم يجد غيره ونحو ذلك ، و يقول أحد إن الحرير لبسه مباح في كل حال ، ولذلك نظائر0

وأما الآثار عن السلف فكثيرة جداً ، فمن ذلك قول عبد الله بن مسعود وناهيك به فقهاً وعلماً وعملاً ونصحاً : " الغناء ينبت النفاق في القلب ، كما ينبت الربيع البقل " ، صح عنه ذلك ، ومن الناس من يرفعه إلى النبي -ﷺ- ، والصحيح أنه موقوف ، وقال ابن مسعود

---

[1] - انظر نص الاستفتاء في ص 390 من هذا البحث 0

[2] - أخرجه البخاري ، كتاب الأشربة ،باب ما جاء فيمن يستحل الخمر وتسميته بغير اسمه ، 4/13 ، حديث رقم 5590 ، عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري ، قال حدثني أبو عامر - أو أبو مالك - الأشعري ، والله ما كذبني : « سمع النبي -ﷺ- يقول : ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والخمر والمعازف 000» 0

[3] - في مسنده ، باقي مسند الأنصار ، حديث رقم 21725

[4] - في سننه كتاب اللباس ، حديث رقم 4039

[5] - في سننه كتاب الفتن ، حديث رقم 4020

[6] - الصحاح ، 4/ 1403 ، (باب الفاء)

[7] - اليراع : القصب ، المفرد منه يراعة ، وهي مزمار الراعي 0

في قــوله تعـالى :]ومن النـاس من يشـتري لهو الحـديث ليضل عن سبيل الله[،[لقمان : 6] ، هو : الغناء 0

روى الترمذي[1]وغيره في ذلك حديثاً أنها أنزلت في القينات ، وأن ثمنهن حـرام، ولو استقصـينا الأحـاديث والآثـار المروية في هـذا المقام لضاق هذا الموضع عنه »[2]

وأضـاف القـول : « وأما اتخـاذ هـذا الطـرب قربة وطريقة ومسـلكاً يتوصل به إلى نيل الثـواب ، فهو بدعة شـنعاء لم يقله أحد من الأنبياء ، ولا نزل به كتاب من السماء ، وفيه مشابهة بالـذين قـال الله - تعالـــى - فيهم :]وذر الذين اتخـذوا دينهم لعباً ولهـواً000 [، [الأنعام : 70] ، وقال -تعالى- :] وما كان صـــلاتهم عند الـبيت إلا مكـاء وتصدية [، [الأنفال : 35] 0

يعني التصفيق والصفير اللذين الدف والشبابة أطم وأعظم منهما0

وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله -- ، قـال : " الجـرس مزمـار الشـيطان " [3]، فـإذا كـان في الجـرس ، فما ظنك بالـدف المصلصـل، بالصـنوج ، والشـبابات ، المتنوعة ، الأشـكال ، والأصوات 0

ولهذا قال الصديق - رضي الله عنه - لتينك الجاريتين اللتين كانتا تضـربان بالـدف عند ابنته عائشة - رضي الله عنها - يـوم العيد ، فانتهرهما وقال : "أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله -- ، فقال النبي -- : " دعهما يا أبا بكر فـإن لكل قـوم عيـداً وهـذا عيـدنا " [4]، فأقره على قوله : "مزمور الشيطان " ، واستثنى من ذلك يـوم العيد لمثل تلك الجواري ، إظهاراً للفرح والسرور 0

كما أُقِـرَّت الحبشة على لعبهم يوم العيد في المسجد بالحراب ، ولا يقول أحد إنهم لو أرادوا ذلك في كل وقت وحين يقرون عليه0

والمقصـود أن اتخـاذ هـذا السـماع المحـرم قربة من أكـبر المنكـرات وأعظم المبتـدعات ، ولهـذا لما اشـتبه أمـره على بعض المتصـوفة بعد القـرون الثلاثة ، ورأوا أن لهم فيه وجـداً وذوقـاً ولم يحيطوا علماً بمفسدته ووخيم عاقبته ، أنكر عليهم الأئمة أشد الإنكار ، حتى قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : " تـركت

---

[1] - سبق تخريجه في ص 394
[2] - كشف الغطاء ، ص 39-41
[3] - صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة ، باب كراهة الكلب والجرس ، 3/1672 ، حديث رقم 2114 ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، أن رسول الله قال : « الجرس مزامير الشيطان »
[4] - صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب مقدم النبي وأصحابه المدينة ، 3/77 ، حديث رقم 3931

بالعراق شيئاً أحدثته الزنادقة ، يسمونه التغبير، يصدون به عن القرآن " 0

فهذا قوله في التغبير ، وهو عبارة عن التوقيع بقضيب أو نحوه على جلد يابس ، وإنشاد أشعار ربانية مرققة للقلوب ومحركة للسواكن ، ومع هذا وسمهم بالزنادقة 0

فكيف لو رأى ما أحدثه هؤلاء الذين في زماننا من الاستماع والرقص على الدفوف والشبابات من وجوه حسان ؛ إما مرد وإما نسوان ، ويزعمون أنهم في ذلك الحال في الحضرة الربانية والمعارف الروحانية ، ويقول قائلهم : " من رقص غفر له"، أو ما أشبه ذلك ، فإن أضافوا مع ذلك مخالطة النسوان والأحداث مع الشخير والنخير ، وإظهار الأحوال من الأذن والأصباغ ونحو ذلك مما غالبه مصنوع مفتعل ، يجعلونه ذريعة إلى أكل أموال الناس بالباطل ، وأنهم من الأولياء الواصلين ،كان ذلك أبعد لهم عن الحق وأضل سبيلاً عن الهدى 0

والعلماء لا ينكرون وقوع الكرامات من الأولياء ، وأن ذلك قد كان ويكون ، مما لا ينحصر ولا يمكن عده كثرة ، ولكن من كان على الطريقة المستقيمة والسنة القويمة كان حاله موافقاً صحيحاً نافعاً ، فإنه إنما يصدر عن الولي العارف ، إما حجة في الدين أو حاجة للمسلمين ، كما كانت الكرامات المروية عن السلف - رضي الله عنهم أجمعين - ، وقد توجد الحال عن غير متبع للكتاب والسنة ، ولكن يكون ذلك وبالاً وحجة عليه ، كالعالم إذا لم ينتفع بعلمه 0

قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي[1] ، قلت للشافعي : " كان صاحبنا - يعني الليث بن سعد - يقول : إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة" 0

فقال الشافعي : " قصر - رحمه الله - إذا رأيتم الرجل يمشي على النار ويطير في الهواء فلا تغتروا به ، حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة " 0

فهذه نصوص الأئمة - رحمهم الله - في مثل هذا المقام 000والآيات والأحاديث كثيرة جداً ، والمقصود أنه لم يكن -ﷺ- لا هو ولا أصحابه - رضي الله عنهم - يستمعون هذا السماع المبتدع ، وإنما كان سماعهم الإصغاء إلى القرآن وتدبر آياته ، واستنباط المعاني العظيمة منه ، كما وصفهم الله - تعالى - بذلك في كتابه ، كما قال

---

[1] - يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصدفي ، أبو موسى المصري ، ثقة ، مات 64هـ (تقريب التهذيب ، 1098) 0

الله - تعالى - :] إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون [، [الأنفال : 2] 0

000وفي هذا إشارة لمنصف من نفسه ، فمن يهيج عند سماع الأبيات ولا يتأثر بسماع الآيات ، ينوح ويبكي عند سماع الصوت الرغيد ، ولا يبالي عند سماع الوعد والوعيد ، فمن كانت هذه صفته فليس هو على الطريقة الصحيحة ، بل هو من الذين إن لم يتوبوا ويقلعوا ، نودي عليهم يوم القيامة بالخزي والفضيحة ، والله سبحانه وتعالى أعلم »[1]

11- اللبــاس:

نقل ابن كثير ، قول أبي سليمان الداراني ، في ذم ما يفعله بعض الصوفية في اللباس ، فقال : « إذا رأيت الصوفي يتنوق في لبس الصوف، فليس بصوفي ، وخيار هذه الأمة ، أصحاب القطن ، أبو بكر الصديق وأصحابه »[2]

وقال : « وفي رجب -سنة أربع وسبعمائة - ، أحضر إلى الشيخ تقي الدين بن تيميه ، شيخ كان يلبس دلقاً كبيراً متسعاً جداً ، يسمى المجاهد إبراهيم القطان ، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق ، فتناهبه الناس من كل جانب، وقطعوه حتى لم يدعوا فيه شيئاً»[3] 0

ما سبق ذكره مواقف وردود ، إمام من أئمة الدين ، وعلم من أعلام المسلمين ، الإمام ابن كثير ، بيّن ما يعتري أفعال الصوفية من البدع ومخالفتها لما شرعة الله ، وسنة خير البرية -0 -

المبحث الســـابع : ترجمة مـــوجزة للإمـــام الشـــاطبي ، ومواقفه العملية والقولية ، في الرد على الصوفية 0

المطلب الأول : ترجمة موجزة للإمام الشاطبي 0

1- اسمه ونسبه :

إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ، أبو إسحاق، الشهير بالشاطبي ، من أئمة المالكية [4] 0

---

[1] - كشف الغطاء ، ص 41-45 ـ وانظر : تفسير القرآن العظيم ، 1/139 و 3/450-451 ـ والبداية والنهاية ، 9/366و387 و11/215،387 و12/667و13/205،286،391و14/445،570

[2] - البداية والنهاية ـ 10/698

[3] - البداية والنهاية ـ 13/442

[4] - الموافقات ـ 1/ د ـ والإفادات ، ص 17 ـ والأعلام ـ 1/75 ـ ومعجم المؤلفين ، 1/118

2- مولــده :

ولد الإمام الشاطبي نحو سنة 720 ، وقيل سنة 730 هـ [1]

3- مؤلفاته :

للإمام الشاطبي عدد من المؤلفات منها : عنوان التعريف بأســرار التكليف في الأصــول ، والموافقــات في أصــول الأحكــام ، والاعتصام ، والإفادات والإنشادات ، والإتقان في علم الاشتقاق [2] 0

4- عقيدته ، وثناء العلماء عليه :

الإمام الشاطبي ســلفي العقيــدة ، ومن المتمســكين بمنهج السلف[3] و«كان ثبتاً ورعاً صالحاً زاهداً سنياً 000»[4]

وهو : « الإمـام المجـدد العلامة المصـلح ، الزاهد الـورع المحتسب ، الناصر للسنة ، القـامع للبدعة 000اتخذ القـرآن والسـنة له نبراساً وإماماً »[5]

5- وفاتـه :

توفي الإمام الشاطبي - رحمه الله - سنة 790 هـ [6] 0

المطلب الثــــاني : مواقف الإمــــام الشــــاطبي العملية والقولية ، في الرد على الصوفية0

الإمام الشاطبي ، أحد علماء السلف في القرن الثامن ، الذين كــان لهم مع الفقــراء الصــوفية ، مواقف عملية وقولية ، وتعــرض

---

[1] - الموافقات - المقدمة - ص ، د ، والإمـام الشـاطبي عقيدته وموقفه من البـدع وأهلها ،تـأليف عبد الـرحمن آدم علي ، ط1 ، (الرياض : مكتبة الرشد ، وشركة الرياض للنشر والتوزيع ، 1418هـ) ، ص 44 ، ومقدمة فتاوى الإمام الشاطبي ، تحقيق د/ محمد أبو الأجفان ، ط2، (تونس : 1406 هـ) ، ص 32

[2] - الاعتصام ، ص6 ، ومعجم المؤلفين ، 1/118

[3] - انظر : الاعتصام ، 1/210

[4] - نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، أحمد بابا التنبكتي ، بهامش الديباج المذهب ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ)، ص 46

[5] - الموافقات - المقدمة - للشيخ بكر عبد الله أبو زيد ، ص6

[6] - الأعلام ، 1/75 ،ومعجم المؤلفين ، 1/118

لأذاهم نتيجة لمواقفه الرافضة للبـدع وأهلهـا، وبيّن حاله مع هـؤلاء ، فقال « وتارة نسبت إلى معاداة أولياء الله ، وسبب ذلك أني عـاديت بعض الفقراء المبتـدعين المخـالفين للسـنة ، المنتصـبين ـ بـزعمهم ـ لهداية الخلق ، وتكلمت للجمهـــور على جملة من أحـــوال هـــؤلاء 000»[1] 0

1- الفقــراء [2]:

سئل الإمام الشاطبي - رحمه الله - عن طائفة الفقراء في هذا الزمان ، وانتحالهم لأمور ذكرها السائل؟

فقـال في ذلك : « سـألت وفقـني الله وإيـاك عن قـوم يتسـمون بالفقراء ، يجتمعون في بعض الليالي ، ويأخذون في الـذكر ثم الغنـاء والضرب بالأكف والشطح ، إلى آخر الليل ، واجتمـاعهم على إمـامين من أئمة ذلك الموضع ، يترسـمان برسم الشـيوخ في تلك الطريقـة، وذكرت أن كل من يزجر ذلك الفعل يحتجون بحضور الفقهـاء معهم ، ولو كان حراماً أو مكروهاً لم يحضروا معهم »[3]

ثم قال : « والجواب - والله الموفق للصواب - أن اجتماعهم للـذكر على صـوت واحد إحـدى البـدع ، المحـدثات الـتي لم تكن في زمان رسول الله -ﷺ- ، ولا زمـان الصـحابة -ﷺ- ، ولا من بعـدهم ولا عرف ذلك قط من شريعة محمد - عليه السلام -، بل من البدع الـتي سماها رسول الله -ﷺ-، ضلالة وهي مردودة 0

ففي الصحيح أنه -عليه السلام - قال : " من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد "[4]0

وفـي رواية : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو مردود " [5]0

وفي الصـحيح : أنه -ﷺ- كـان يقـول في خطبته : " أما بعد فـإن خـير الحـديث كتـاب الله ، وخـير الهـدي هـدي محمد -ﷺ- ، وشر الأمـور محدثاتها ،وكل بدعة ضلالة " [6]0

وفي رواية : " كل محدثة بدعة ، وكل بدعة في النار " [7] 0

---

[1] - الاعتصام ـ 1/16
[2] - الفقراء : اسم من أسماء الصوفية 0
[3] - الإفادات والإنشادات ـ ص 176
[4] - صحيح البخاري كتاب الصلح ـ باب إذا اصطلحوا على صلح جور ـ فالصلح مـردود ، 2/267 ـ حـديث رقم 2697
[5] - صحيح مسلم كتاب الأقضية ـ باب الأحكام الباطلة ، ورد محـدثات الأمـور ـ 3/1343-1344، حـديث رقم 1718، وجاء في الحديث : « فهو رد » بدل « فهو مردود » 0
[6] - صحيح مسلم كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ـ 2/592 ـ حديث رقم 867
[7] - أخرجه مسلم في صحيحه كتـاب صلاة العيـدين ، بـاب تخفيف الصـلاة والخطبة ، 2/592 ـ حـديث رقم 867 ـ دون : « وكل بدعة ضلالة » 0 وأخرجه النسائي كاملاً في سننه باب صلاة العيدين باب كيف الخطبة ـ 3/188 ـ حديث رقم 1578

وهذا الحديث يدل على أن صاحب البدعة في النار، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة 0

وعن الحسن البصري ، أنه سئل فقيل له : " ما ترى في مجلسنا هذا ؟ قوم من أهل السنة والجماعة ، لا يطعنون على أحد ، نجتمع في بيت هذا يوماً وفي بيت هذا يوماً ، فنقرأ كتاب الله ، وندعوا الله ربنا ،ونصلي على النبي -- ، وندعو لأنفسنا ، ولعامة المسلمين ؟0

قال : " فنهى الحسن عن ذلك أشد النهي ؛ لأنه لم يكن من عمل الصحابة -- ولا التابعين ، وكل ما لم يمت عليه السلف الصالح فليس من الدين ، فقد كانوا أحرص على الخير من هؤلاء فلو كان فيه خير لفعلوه "

وقد قال - تعالى - :]000اليوم أكملت لكم دينكم 000[، [المائدة : 3] 0

وقال مالك بن أنس : " فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً ، وإنما يعبد الله بما شرع " 0

وهذا الاجتماع لم يكن مشروعاً قط ، فلا يصح أن يعبد الله به0

وأما الغناء والشطح فمذمومان على ألسنة السلف الصالح 0

فعن الضحاك : " الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب " 0

وقال المحاسبي : " الغناء حرام ؛ كالميتة " 0

وسئل مالك بن أنس عن الغناء الذي يفعل بالمدينة ؟ فقال : " إنما يفعله عندنا الفساق " 0

وهذا محمول على غناء النساء ، وأما الرجال فغناؤهم مذموم أيضاً ، بحيث إذا داوم أحد على فعله ، أو سماعه سقطت عدالته ، لما فيه من إسقاط المروءة ، ومخالفة السلف 0

وعن التنيسي[1] قال : " كنا عند مالك وأصحابه حوله ، فقال له رجل من أهل نصيبين[2] : " يا أبا عبد الله عندنا قوم يقال لهم الصوفية ، يأكلون كثيراً ، ثم يأخذون في القصائد ، ثم يقومون فيرقصون ؟

فقال مالك : أصبيان هم ؟

---

[1] -عبد الله بن يوسف التنيسي ، أبو محمد الكلاعي ، أصله من دمشق ، ثقة من أثبت الناس في الموطأ ، مات سنة ثماني عشرة ومائتين هـ 0 (تقريب التهذيب ، ص 559)0 وقد ذكر الدكتور محمد أبو الأجفان محقق فتاوى الإمام الشاطبي أنه : « بشر بن بكر التنيسي ، أبو عبد الله البجلي ، دمشقي الأصل ، ثقة يُغْرِبُ ، من التاسعة ، مات سنة خمس ومائتين ، وقيل : سنة مائتين 0 والصواب - والله أعلم - أنه الأول ، لأنه اشتهر بلقب التنيسي ، ولإشارة ابن حجر أنه : « من أثبت الناس في الموطأ » 0(تقريب التهذيب ، ص 168 ، وفتاوى الإمام الشاطبي ، ص 195) 0

[2] - مدينة في بلاد الشام ، انظر: معجم البلدان ، 5/233

قال : لا0
قال : أمجانين هم ؟
قال : لا ، قوم مشائخ وغير ذلك عقلاء 0
فقال مالك : ما سمعت أن أحد من أهل الإسلام يفعل هذا إلا أن يكون مجنوناً أو صبياً"0

فهذا بيّن أنه ليس من شأن أهل الإسلام 0

ثم قال : " ولو فعلوه على جهة اللعب كما يفعله الصبي ، لكان أخف عليهم ، مع ما فيه من إسقاط الحشمة وإذهاب المروءة ، وترك هدي الإسلام وأرباب العقول ، ولكنهم يفعلونه على جهة التقرب إلى الله والتعبد به ، وأن فاعله أفضل من تاركه ، وهذا أدهى وأمر ، حيث يعتقدون اللهو واللعب عبادة ، وذلك من أعظم البدع المحرمات الموقعة في الضلالة المؤدية إلى النار ، والعياذ بالله " 0

وأما ما ذكرتم من شأن الفقيهين الإمامين ، فليسا بفقيهين إذا كانا يحضران شيئاً من ذلك ، وحضورهما ذلك على الانتصاب إلى الشيخوخة قادح في عدالتهما ، فلا يصلّى خلف واحد منهم ،حتى يتوب إلى الله من ذلك، ويظهر عليهما أثر التوبة ، فإنه لا تجوز الصلاة خلف أهل البدع 0 نص على ذلك العلماء " 0

وعلى الجملة ، فواجب على كل من كان قادراً ، على تغيير ذلك المنكر الفاحش، القيام بتغييره وإخماد نار الفتنة به ، فإن البدع في الدين هلاك ، وهي في الدين أعظم من السم في الأبدان ،والله الواقي بفضله ، والسلام على من يقف على هذا ، من كاتبه الشاطبي ، ورحمة الله وبركاته0 انتهى0»[1]

2-التلقي :

قال الإمام الشاطبي عن الذوق والوجد : « 000 ولم يقم لنا دليل على اتباع أقوال الصوفية وأعمالهم ، إلا بعد عرضها وبذلك وصى شيوخهم ، وإن كان ما جاء به صاحب الوجد والذوق ، 0من الأحوال والعلوم والفهوم ، فليعرض على الكتاب والسنة، فإن قبلاه صح ، وإلا لم يصح »[2]

وقال : « 000 فإذا رأيت أحداً سمع موعظة ؛أي موعظة كانت ، فظهر عليه من الأثر ما ظهر على السلف الصالح ، علمت أنها رقة ، وهي أول الوجد ، وأنها صحيحة، لا اعتراض عليها 0

---

[1] - الإفادات والإنشادات ، ص 176-178، وانظر : ص 38
[2] - الاعتصام ، 1/176

وإذا رأيت أحد سمع موعظة قرآنية ، أو سـنية ، أو حكمة ، ولم يظهر عليه من ذلك الآثار شيء ، حتى يسمع شعراً مرقماً ، أو غناءً مطرباً فتـأثر ، فإنه لا يظهر عليه في الغـالب من تلك الآثـار شـيء ، وإنما يظهر عليه انزعاج بقيام أو دوران ، أو شطح أو صـياح ، أو ما يناسب ذلك ، وسـببه أن الـذي حل بباطنه ، ليس بالرقة المـذكورة أولاً ، بل هو الطرب الذي يناسب الغناء ، لأن الرقة ضد القسوة ،والطرب ضد الخشوع ،كما يقوله الصوفية ، والطرب مناسب للحركة ، لأنه تـوازن الطباع ، ولذلك اشترك فيه الإنسان والحيوان»[1] 0

وقال عن أصحاب الوجد : « فالحاصل من هؤلاء ، أنهم أحسنوا الظن بأنهم فيما هم عليه مصيبون ، وأساؤوا الظن بالسلف الصالح ، أهل العمل الراجح الصريح ، وأهل الدين الصحيح »[2] 0

وقال أيضاً عن المتواجدين : « بخلاف هؤلاء القوم الذين لم يشموا من أوصاف الفضـلاء رائحة ، فأخـذوا بالتشـبه بهم 000 ولكن زادوا على - التواجد - ذلك الـرقص والزمر والـدوران والضـرب على الصدور ، وبعضهم يضرب رأسه ، وما أشبه ذلك من العمل المضـحك للحمقى ، لكونه من أعمـال الصـبيان والمجـانين ، المبكي للعقلاء رحمة لهم ، إذ لم يتخذ مثل هذا طريقاً إلى الله ، وتشبهاً بالصـالحين »[3] 0

ثم بيّن الإمام الشاطبي ، التواجد الذي كـان يبـدو على جملة من السـلف الصـالح ، فقـال: « والـذي يظهر في التواجد ، ما كـان يبـدوا على جملة من أصحاب رسول الله -- ، وهو البكاء واقشعرار الجلد ، التابع للخوف الآخذ بجامع القلوب »[4] 0

وقال عن الكشف الصوفي : «وليس الاطلاع على المغيبات ولا الكشف الصـحيح، بالـذي يمنع من الجريـان على مقتضى الأحكـام العادية ، والقدوة في ذلك رسول الله -- ، ثم ما جرى عليه السلف الصالح ، وكذلك القول في انخراق العـادات ، لا ينبغي أن ُيبـنى عليها في الأحكام الظاهرة»[5]

---

[1] - الاعتصام ، 1/229
[2] - الاعتصام ، 1/219
[3] - الاعتصام ، 1/227
[4] - الاعتصام ، 1/224
[5] - الموافقات ، 2/506

وقال عن الكشف الصوفي ، وما في حكمه : « 000 إن هذه الأمـور لا يصح أن تـراعى وتعتـبر ، إلا بشـرط : أن لا تخـرم حكمـاً شرعياً ، ولا قاعـدة دينية ، فـإن ما يخـرم قاعـدة شـرعية ، أو حكمـاً شــرعياً ليس بحق في نفسه ، بل هو : إما خيــال ، أو وهم، وإما من إلقـــاء الشـــيطان ، وقد يخالطه ما هو حق ، وقد لا يخالطه ، وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهه معارضته لما هو ثابت مشروع »[1]

وقال أيضاً : « إن مخالفة الخوارق للشريعة دليل على بطلانها في نفســها ، وذلك أنها قد تكــون في ظواهرها كالكرامــات وليست كذلك ، بل من أعمال الشيطان »[2]

ثم بيّن الضوابط التي ينبغي مراعاتها ، عند العمل بالكشف ، إذا كـان لايخـرق قاعـدة شـرعية ، فقـال : «000 فـالقول في ذلك أن الأمور الجائزات ، أو المطلوبات ، التي فيها سـعة ، يجـوز العمل فيها بمقتضى ما تقدم - أي عـدم خـرق قـادة شـرعية - وذلك على أوجه ، أحدهما : أن يكون في أمر مباح 000والثاني : أن يكـون العمل عليها لفائـدة يرجو نجاحها 0 والثـالث : أن يكـون فيه تحـذير أو تبشـير ، ليستعد لكل عدته ، فهذا أيضاً جائز ؛ كالإخبار عن أمر يـنزل 000»[3] 0

وقال عن الرؤيا : « العلوم المأخوذة من الرؤيا ، مما لا يرجع إلى بشارة ، ولا نذارة ، فإن كثيراً من الناس يستدلون على المسائل العلمية بالمنامات وما يُتلقى منها تصريحاً ، فإنها وإن كانت صحيحة ، فأصلها الذي هو الرؤيا، غـير معتـبر في الشـريعة في مثلها 000وإنما ذكــرت الرؤيا تأنيســاً ، وعلى هــذا يحمل ما جــاء عن العلمــاء من الاستشهاد بالرؤيا»[4]

وفرق بيّن رؤيا الأنبياء - عليهم السلام - ورؤيا غيرهم ، فقال : « من هنا يعلم أن كل خارقة حــدثت ، أو تحــدث إلى يــوم القيامة ، فلا يصح ردها و لا قبولها ، إلا بعد عرضــها على أحكـام الشـريعة ، فــإن ساغت هناك ، فهي صحيحة مقبولة في موضعها ، وإلا لم تقبل ، إلا الخوارق الصادرة على أيـدي الأنبيـاء - عليهم السـلام - ، فإنها لا نظر فيها لأحد ، لأنها واقعة على العصمة قطعاً ، فلا يمكن فيها غير ذلك ، ولأجل هــذا حكم إبــراهيم - عليه الســلام - في ذبح ولــده بمقتضى

[1] - الموافقات ـ 2/457 ـ وانظر : 2/446-447، 454
[2] - الموافقات ـ 2/475
[3] - الموافقات ـ 2/471-473
[4] - الموافقات ـ 1/114-115 ـ وانظر : حاشية رقم 2 ص 114

رؤيـاه[1] ، وقـال له ابنه - كما جـاء في كتـاب الله تعـالى ذكـره- :] 000يا أبت أفعل ما تؤمر000[، [الصافات : 102] 0
وإنما النظر فيما انخرق من العادات على يد غير المعصوم »[2]

وقال مبيناً حال الصوفية ، وموقفهم من الكشف : « ومما يتعلق به بعض المتكلفين أن الصوفية هم المشهورون باتباع السـنة ، المقتدون بأفعال السـلف الصـالح 000 ولكنهم في كثـير من الأمـور يستحسـنون أشـياء لم تـأت في كتـاب ولا سـنة ، ولا عمل بأمثالها السـلف الصـالح ، فيعملـون بمقتضـاها، ويثـابرون عليها ، ويحكمونها طريقـــاً لهم مهيعـــاً ، وســـنة لاتخلف ، بل ربما أوجبوها في بعض الأحـوال » إلى أن قـال : « فمن ذلك أنهم يعتمـدون في كثـير من الأحكـام على ، الكشف والمعاينة ، وخـرق العـادة ، فيحكمـون بالحل والحرمة ، ويثبتون على ذلك الإقدام والإحجام »[3]

ثم قــال : « 000فمثل هــذه الأشــياء ، إذا عرضت على قواعد الشريعة، ظهر عدم البناء عليها ، إذ المكاشفة أو الهاتف المجهـول ، أو تحريك بعض العروق ، لا يدل على التحليل ولا التحريم 000»[4] 0

4- الاستدلال :

قال الإمام الشاطبي عن استدلال الصوفية بالقرآن الكريم ، والحــديث الشــريف : « 000وكثــير من فــرق الاعتقــادات ، تعلق بظواهر من الكتاب والسنة في تصحيح ما ذهبوا إليه ، مما لم يجر له ذكر ، ولا وقع ببال أحد من السلف الأولين ، وحاش لله من ذلك »[5]

ومن ذلك استدلال الصوفية ، على الرقص ، بقوله تعـالى :] 000إذ قاموا فقالوا ربنا000[[الكهف : 14] 0
فقال : « أين فيه أنهم قاموا يرقصون ، أو يزفنون ، أو يـدورون على أقـــدامهم؟ ، ونحو ذلك ، فهو من الاســـتدلال الـــداخل تحت هـــذا الجواب[6] »[7]

ومنه : «000استدلالهم على الرقص في المساجد وغيرها ، بحديث لعب الحبشة في المسجد بالدرق والحراب » [8]

---

[1] - قال تعالى:] فلما بلغ معه السعي قال يا بنيّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قـال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين [[الصافات ، 102]
[2] - الموافقات ، 2/481، وانظر : ص 482
[3] - الاعتصام ، 1/172
[4] - الاعتصام ، 1/172
[5] - الموافقات ، 3/282
[6] - أي باب اختلاف المناط في المسائل 0
[7] - الاعتصام ، 1/230 ، وانظر : الموافقات ، 4/196-197
[8] - الموافقات ، 3/ 282

ومنه : « اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة ، المكذوب فيها على رسول الله -ﷺ- والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها000كحديث 000أن النبي -ﷺ- تواجد واهتز عند السماع ، حتى سقط الرداء عن منكبيه ، وما أشبه ذلك فإن ناقل أمثال هذه الأحاديث - على ما هو معلوم - جاهل ومخطئ في نقل العلم ، فلم ينقل الأخذ بشيء منها عمن يعتد به ، في طريقة العلم ، ولا طريقة السلوك »[1]

وقال عن الاستدلال بكلام أرباب الأحوال من الصوفية : « كلام أرباب الأحوال من أهل الولاية ، فإن الاستدلال به من قبيل ما نحن فيه ، وذلك أنهم قد أوغلوا في خدمة مولاهم ، حتى أعرضوا عن غيره جملة ، فمال بهم هذا الطريق إلى أن تكلموا بلسان الاطراح لكل ما سوى الله ، وأعربوا عن مقتضاه ، وشأن من هذا شأنه لا يُطيقه الجمهور ، وهم إنما يكلمون به الجمهور ، وهو وإن كان حقاً ففي رتبته لا مطلقاً ؛ لأنه - في حق الأكثر - من الحرج ، أو تكليف ما لا يطاق ، بل ربما ذموا بإطلاق ما ليس بمذموم ، إلا على وجه دون وجه ، وفي حال دون حال ، فصار أخذه بإطلاق موقعاً في مفسدة »[2]

وقال عن الاستدلال بأعمال المشار إليهم بالصلاح : « الاستدلال على تثبيت المعاني ، بأعمال المشار إليهم بالصلاح ، بناء على مجرد تحسين الظن لا زائد عليه ، فإنه ربما تكون أعمالهم حجة ، 000 فإذا أخذ ذلك بإطلاق فيمن يحسن الظن به ، فهو - عند ما يسلم من القوادح - من هذا القسم[3] ، لأجل ميل الناس إلى من ظهر منه الصلاح ، وفضل ، لكنه ليس من صلب العلم ، لعدم اطراد الصواب في عمله ، ولجواز تغيره ،فإنما يؤخذ - إن سلم - هذا المأخذ »[4]

وقال عن استدلال الصوفية بالأشعار : « الاستناد إلى الأشعار في تحقيق المعاني العلمية والعملية ، وكثيراً ما يجري مثل هذا لأهل التصوف في كتبهم وفي بيان مقاماتهم 000 وأما إذا نظرنا إلى الأمر

---

[1] - الاعتصام ، 1/ 182
[2] - الموافقات ، 1/ 117
[3] - أي من القسم الثاني : وهو المعدود في ملح العلم لا في صلبه ، (انظر : 1/110)
[4] - الموافقات ، 1/116-117، وانظر : الفتاوى ، 10/430،و11/15

في نفسه ، فالاستشهاد بالمعنى ، فإن كان شرعيّاً فمقبول، وإلا فلا»[1]

وقال عن الاستدلال بأعمال الشيوخ ، أو رؤية النبي -ﷺ- :
«وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها فيقولون: " رأينا فلاناً الرجل الصالح ، فقال لنا : اتركوا كذا ،واعملوا كذا 0

ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف ، وربما قال بعضهم : رأيت النبي -ﷺ- ، في النوم ، فقال لي : كذا ، وأمرني بكذا 0

فيعمل بها ويترك بها ، معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة ، وهو خطأ ، لأن الرؤيا من غير الأنبياء - عليهم السلام - لا يحكم بها شرعاً ، على حال ، إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية ، فإن شرعتها عمل بمقتضاها ، وإلا وجب تركها والإعراض عنها »[2]

5- الحلول:

قال الإمام الشاطبي في الحلول : « وقد حكم العلماء بكفر جملة منهم : كالباطنية وسواهم ، لأن مذهبهم راجع إلى مذهب الحلولية القائلين بما يشبه قول النصارى ، في اللاهوت والناسوت »[3]

وقد كفر الشاطبي الحلولية فقال : « تكفير مادل الدليل على كفره ، كما إذا كانت البدعة صريحة في الكفر ، كالإباحية ، والقائلين بالحلول »[4]

وقال أيضاً : « وكل من اتبع بيان سمعان في بدعته التي اشتهرت عند العلماء ، مقلداً فيها على حكم الرضاء بها ورد ما سواها ، فهو من الإثم مع من اتبع ، فقد زعم أن معبوده في صورة الإنسان ، وأنه يهلك كله إلا وجهه ، ثم زعم أن روح الإله حل في علي - رضي الله عنه - ، ثم فلان ، ثم في بيان نفسه »[5]

6- إسقاط التكاليف :

[1] - الموافقات ، 1/116
[2] - الاعتصام ، 1/211-212
[3] - الاعتصام ، 1/103
[4] - الاعتصام ، 1/141
[5] - الاعتصام ، 1/134

قال الإمام الشاطبي ، مبيناً حكم من يزعم سقوط التكاليف الشرعية: «أن يتركها تديناً ، فهذا الضرب من قبيل البدع حيث تــدين بضد ما شرع الله ، ومثاله : أهل الإباحية القائلين بإسقاط التكـاليف ، إذا بلغ السالك عندهم المبلغ الذي حدوه »[1]

وأضاف : « أن الشريعة قد ورد طلبها ، على المكلفين على الإطلاق والعمـوم ، لا يرفعها عـذر إلا العـذر الرافع للخطـاب رأسـاً ، وهو زوال العقل ، فلو بلغ المكلف في مــراتب الفضــائل الدينية إلى أي مرتبة بلغ ، بقي التكليف عليه كـذلك إلى المـوت ، ولا رتبه لأحــد يبلغها في الدين كرتبة رسول الله -ﷺ- ، ثم رتبة أصحابه البررة ، ولم يسـقط عنهم من التكليف مثقـال ذرة 000فمن رأى أن التكليف قد يرفعه البلـــوغ إلى مرتبة ما من مـــراتب الـــدين ، -كما يقوله أهل الإباحية - كان قوله بدعة مخرجة عن الدين »[2]

7- الدعــاء :

قال الإمام الشاطبي : « الدعاء أيضاً عبادة ، لا يزاد فيها ولا ينقص ، أعني الكيفيـات المسـتفعلة ، والهيئـات المتكلفة الـتي لم يعهد مثلها فيما تقدم ، وكذلك الأدعية التي لا تجد مساقها في متقـدم الزمان ، ولا متـأخرة ، ولا مسـتعمل النـبي -ﷺ- ، والسـلف الصـالح ، والـتي روعي فيها طبـاع الحـروف في زعم أهل الفلسـفة ، ومن نحا نحوهم 0000 وهـذا الموضع مزلة قـدم للعـوام ولكثـير من الخـواص »[3]

وعد الإمام الشاطبي الاجتماع للدعاء ، بدعة ، فقال : « وتقرير السؤال أن يقال في البدع مثلاً : " فعل ما سكت الشارع عن فعله ، أو ترك ما أذن في فعله " ، 000فالأول كسـجود الشـكر عند مالك ، حيث لم يكن ثم دليل على فعله ، والـدعاء بهيئة الاجتمـاع في أدبــار الصلوات »[4]0

8- من نوادر البدع عند الصوفية :

وقال الإمـام الشاطبي عن نوادر البدع عند الصوفية : « ومن نوادرها - البــدع - الــتي لا ينبغي أن تفعل ، ما جــرى به عمل جملة ممن ينتمي إلى طريقة الصوفية ، في تربصهم ببعض العبادات أوقاتاً

---

[1] - الاعتصام ، 1/30
[2] - الاعتصام ، 1/198-199، وانظر: الموافقات ، 5/82-83،105
[3] - الموافقات ، 2/446
[4] - الموافقات ، 3/ 159 ، وانظر : الموافقات ، 3/497-502، والاعتصام ، 1/ 292-297،و 321-322

مخصوصة ، غير ما وقته الشرع فيها ، فيضعون نوعاً من العبادات المشروعة في زمن الربيع ، ونوعاً آخر زمن الصيف ، ونوعاً آخر زمن الخريف ،ونوعاً آخر زمن الشتاء 000 وهذا كله إن فرضنا أصل العبادة مشروعاً ، فإن كان أصلها غير مشروع ، فهي بدعة حقيقية مركبة ، كالأذكار والأدعية بزعم العلماء أنها مبنية على علم الحروف »[1]

9- الأوليــاء :

قال الإمام الشاطبي ، عن تعظيم الصوفية ، لشيوخهم والغلو فيهم : «ومنها - مأخذ أهل البدع في الاستدلال - : رأي قوم التغالي في تعظيم شيوخهم ، حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه ، فالمقتصد منهم يزعم أنه لا ولي لله أعظم من فلان ، وربما أغلقوا باب الولاية دون سائر الأمة إلا هذا المذكور،وهو باطل محض ، وبدعة فاحشة ، لأنه لا يمكن أن يبلغ المتأخرون أبداً مبالغ المتقدمين ، فخير القرون الذين رأوا رسول الله -- وآمنوا به ، ثم الذين يلونهم ، وهذا يكون الأمر أبداً إلى قيام الساعة »[2]

وأضاف : « 000 لا يزال الدين في نقص فهو أصلي لا شك فيه ، وهو عند أهل السنة والجماعة ، فكيف يعتقد بعد ذلك في أنه ولي أهل الأرض ؟ وليس في الأمة ولي غيره ؟ لكن الجهل الغالب والتعظيم ، والتعصب للنحل ، يؤدي إلى مثله أو أعظم منه 0

والمتوسط يزعم أنه مساوٍ للنبي -- ، إلا أنه لا يأتيه الوحي ، بلغني هذا عن طائفة من الغالين في شيوخهم ، الحاملين لطريقتهم في زعمهم ، نظير ما ادعاه بعض تلامذة الحلاج في شيخهم على الاقتصاد منهم فيه ، والغالي يزعم فيه أشنع من هذا ، كما ادعى أصحاب الحلاج في الحلاج »[3] 0

ونقل الشاطبي قول من يوثق به فقال : « وقد حدثني بعض الشيوخ أهل العدالة والصدق في النقل أنه قال : " أقمت زماناً في بعض القرى البادية، وفيها من هذه الطائفة المشار إليها - يعني الصوفية - كثير قال: فخرجت يوماً من منزلي لبعض شأني ، فرأيت رجلين منهم قاعدين ، فتوهمت أنهما يتحدثان في بعض فروع طريقتهم ، فقربت منهما على استخفاء لأسمع من كلامهم - إذ من شأنهم الاستخفاء بأسرارهم - فتحدثا في شيخهم وعظم منزلته ،

---

[1] - الاعتصام ، 1/318
[2] - الاعتصام ، 1/210
[3] - الاعتصام ، 1/210

وأنه لا أحد في الـدنيا مثله ، وطربا لهـذه المقابلة طربـاً عظيمـاً، ثم قال أحدهما للآخر : أتحب الحق ؟ هو النبي ، قال : هذا هو الحق قال المخبر : فقمت من ذلك المكان فاراً أن يصيبني قارعة »[1]

وقال كذلك : « ما عهد بالتجربة من أن الاعتراض على الكبراء قـاض بامتنـاع الفائـدة ، مبعد بين الشـيخ والتلميذ ، ولا سـيما عند الصوفية ، فإنه عندهم الداء الأكبر ، حتى زعم القشـيري[2] عنهم أن التوبة منه لا تقبل والزلة لا تقال »[3]

وقال : « ولقد زل - بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجـال - أقـوام خرجـوا بسـبب ذلك عن جـادة الصـحابة والتـابعين ، واتبعوا أهواءهم بغـير علم فضـلوا عن سـواء السـبيل »[4] فمنهم : « 000 نابتة متـأخرة الزمـان ممن يـدعي التخلق بخلق أهل التصـوف المتقـدمين ، أو يـروم الـدخول فيهم ، يعمـدون إلى ما نقل عنهم في الكتب من الأحـــوال الجارية عليهم أو الأقـــوال الصـــادرة عنهم ، فيتخذونها ديناً وشـريعة لأهل الطريقة ، وإن كـانت مخالفة للنصـوص الشرعية من الكتاب والسنة ، أو مخالفة لما جاء عن السلف الصـالح ، لا يلتفتـــون معها إلى فتيا مفتٍ ولا نظر عـــالم ، بل يقولـــون : إن صـــاحب هـــذا الكلام ثبتت ولايته ، فكل ما يفعله أو يقوله حق ، وإن كان مخالفاً فهو أيضاً ممن يقتدى به ؛ والفقه للعموم ؛ وهـذه طريقة الخصوص »[5]

وأضاف : « فتراهم يحسنون الظن بتلك الأقوال والأفعال ولا يحسـنون الظن بشـريعة محمد -- ، وهو عين أتبـاع الرجـال وتـرك الحق ، مع أن أولئك المتصـوفة الـذين ينقل عنهم لم يثبت أن ما نقل عنهم كان في النهاية دون البداية ، ولا علم أنهم كانوا مقـرين بصـحة ما صدر عنهم أم لا ، وأيضاً فقد يكون من أئمة التصوف وغـيرهم من زل زلة يجب ســـــــــترها عليه ، فينقلها عنه من لا يعلم حاله 000 فكـذلك أهل التصـوف لا بد في الاقتـداء بالصـوفي من عـرض أقواله وأفعاله على حـــاكم يحكم عليها 000والحـــاكم هو الشـــرع وأقـــوال العـالم تعـرض على الشـرع أيضـاً 000ولكن هـؤلاء الرجـال النابتة لا يفعلـون ذلك ، فصـاروا متبعين الرجـال من حيث هم رجـال ، لا من

---

[1] - الاعتصام ـ 1/210 -211
[2] - أشار محقق الموافقات أن هذا القول في الرسالة القشيرية ص 150 ـ ولكني لم أعثر عليه بالنسخة التي بين يدي من الرسالة القشيرية 0
[3] - الموافقات ـ 5/399 ـ وانظر : 2/497 و الاعتصام ، 2/354
[4] - الاعتصام ـ 2/583
[5] - الاعتصام ـ 2/584-885

حيث هم راجحون بالحكم والحق ، وهو خلاف ما عليه السلف الصالح »[1] 0

10- الكــرامات :

قال الإمام الشاطبي : « إن جميع ما أعطيته هذه الأمة من المزايا والكرامـات والمكاشـفات والتأييـدات ، وغيرها من الفضـائل ؛ إنما هي مقتبسة من مشـكاة نبينا -ﷺ-، لكن على مقـدار الاتبـاع ، فلا يظن ظان أنه حصل على خير بدون وسـاطة نبوته ، 000فكل مانقل عن الأوليــاء ، أو العلمــاء أو ينقل إلى يــوم القيامة ؛ من الأحــوال ، والخـوارق ، والعلـوم ، والفهـوم وغيرها فهي أفـراد وجزئيـات داخلة تحت كليات ما نقل عن النبي -ﷺ- »[2] 0

وقال : « خوارق العادات معجزات وكرامات للنبي -ﷺ-، وفي حق الأمة كرامات »[3]

وبيّن كيفية الحكم على الكرامات بقوله : « 000 ينظر إلى كل خارقة صــدرت على يــدي أحد ؛ فــإن كــان لها أصل في كرامــات الرسـول - عليه الصلاة والسلام - ، ومعجزاته ، فهي صـحيحة ، وإن لم يكن لها أصل ؛ فغير صحيحة ، وإن ظن ببـادئ الـرأي إنها كرامة ، إذ ليس كل ماظهر على يدي الإنسان من الخــوارق بكرامة ، بل منها ما يكون كذلك ، ومنها ما لا يكون كذلك »[4]

11- الأحوال والمقامات :

قال الإمام الشاطبي عن المقامات ، التي يستدل بها الصوفية : «وأضعف هؤلاء - أهل البدع في الاسـتدلال - احتجاجـاً قـوم اسـتندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها »[5] 0

وقال عن تعاطي الأسباب : « الذي للمكلف تعاطي الأسباب ، وإنما المسببات من فعل الله وحكمه »[6] 0

وقال: « وقد كان - عليه الصلاة والسلام - يسـتعد الأسـباب لمعاشه وسائر أعماله من جهاد وغـيره ، ويعمل بمثل ذلك أصـحابه ، والسنة الجارية

---

[1] - الاعتصام ، 2/585 ، وانظر : الموافقات ، 1/542 ، و 2/412-413 ، و الإمام الشاطبي ،ص145
[2] - الموافقات ، 2/438-440
[3] - الموافقات ، 2/427
[4] - الموافقات ، 2/444 ، وانظر: 2/415
[5] - الاعتصام ، 1/211
[6] - الموافقات ، 1/302 ، انظر: ص 308

في الخلق ، الجريان على العادات »[7] 0

وقال عن الخوف والرجاء : « فإن الخوف والرجاء يسهلان الصعب، فإن الخائف من الأسد يسهل عليه تعب الفرار ، والراجي لنيل مرغوبه يقصد عليه الطويل من المسافات ، ولأجل الدخول في الفعل على قصد الاستمرار وضعت التكاليف على التوسط ، وأسقط الحرج ، ونهي عن التشديد »[2] 0

11- الســماع :

أجاب الإمام الشاطبي عن السماع الصوفي ، وما يصحبه من البدع ، فقال : « 000 وقع السؤال عن قوم يتسمون بالفقراء ، يزعمون أنهم سلكوا طريق الصوفية ، فيجتمعون في بعض الليالي ويأخذون في الذكر الجهوري على صوت واحد ، ثم الغناء والرقص إلى آخر الليل 000هل هذا العمل صحيح في الشرع أم لا ؟

فوقع الجواب بأن ذلك كله من البدع المحدثات ، المخالفة طريقة رسول الله - - ، وطريقة أصحابه والتابعين لهم بإحسان ، فنفع الله بذلك من شاء من خلقه »[3]

وأضاف : « ومن ذلك - البدع والمحدثات - أشياء ألزموها المريد حالة السماع من طرح الخرق ، 0000 إلى أشياء اخترعوها في ذلك لم يعهد مثلها في الزمان الأول، وذلك من نتائج مجالس السماع الذي اعتمدوه 0

والسماع في طريقة التصوف ليس منها بالأصل ولا بالتبع ، ولا استعمله أحد من السلف ممن يشار إليه حاذياً في طريق الخير »[4]0

وقال: « ولا يجوز لأحد أن يستمع الغناء »[5]0

وقال : « فهذه مجالس الذكر على الحقيقة - مجالس الذكر صحيح إذا كان على حسب ما اجتمع عليه السلف الصالح ، فإنهم كانوا يجتمعون لتدارس القرآن فيما بينهم[6]- وهي التي حرمها الله أهل البدع من هؤلاء الفقراء ، الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف[7] ، وقل منهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة إلا على

---

[7] - الموافقات ، 3/561 ، وانظر : 1/328
[2] - الموافقات ، 2/406 ، وانظر : 4/40
[3] - الاعتصام ، 1/215
[4] - الاعتصام ، 1/175
[5] - الموافقات ، 3/529
[6] - الاعتصام ، 1/217
[7] - يكثر الإمام الشاطبي من ذكر هذه العبارة ، وذلك لأنه يفرق بين الصوفية الأوائل المتمسكين بمنهج الشرع ، والمتأخرين منهم الذين تلبسوا بأنواع البدع والمنكرات ، ووضح ذلك بقوله : « نقلنا عن جملة ممن اشتهر منهم ينيف على الأربعين شيخاً ، جميعهم يشير أو يصرح بأن الابتداع ضلال والسلوك عليه تيه ، واستعماله رمي في عماية ، وأنه مناف لطلب النجاة 000وأن الصوفية الذين نسبت إليهم الطريقة مجمعون

اللحن ، فضلاً عن غيرها ، 000إلى أن يجتمعوا ويقرأ أحدهم شيئاً من القرآن يكون حسن الصوت طيب النغمة جيد التلحين تشبه قراءته الغناء المذموم ، ثم يقولون : تعالوا نذكر الله فيرفعون أصواتهم 0000 على صوت واحد يشبه الغناء ، ويزعمون أن هذا من مجالس الذكر المندوب إليها 0

وكذبوا : فإنه لو كان حقاً لكان السلف الصالح أولى بإدراكه وفهمه والعمل به ، وإلا فأين في الكتاب أو في السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهراً عالياً ، وقد قال تعالى :] ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين [[الأعراف : 55] ، والمعتدون في التفسير هم الرافعون أصواتهم بالدعاء »[1] 0

12- اللباس :

قال الإمام الشاطبي : « ومن ذلك - التشدد في الدين - الاقتصار في الملبس على الخشن من غير ضرورة ، فإنه من قبيل التشديد والتنطع المذموم، وفيه أيضاً من قصد الشهرة ما فيه »[2]

وقال: « 000ولبس الطيالس وتوسيع الأكمام[3] ، وأشباه ذلك من الأمور التي لم تكن في الزمن الفاضل والسلف الصالح ، فإنها أمور جرت في الناس، وكثر العمل بها وشاعت وذاعت ، فلحقت بالبدع ، وصارت كالعبادات المخترعة الجارية في الأمة »[4]

هذه مواقف وردود الإمام الشاطبي ، على الصوفية ، تميزت بالعمق والفهم الصحيح لمقاصد الشرع الحنيف 0

على تعظيم الشريعة ، مقيمون على متابعة السنة 000 فهم الحجة لنا على كل ما ينتسب إلى طريقتهم ولا يجري على منهاجهم ، بل يأتي ببدع محدثات وأهواء متبعات ، وينسبها إليهم 000فكثيراً ما ترى المتأخرين ممن يتشبه بهم يرتكب من الأعمال ما أجمع الناس على فساده شرعاً 000» [الاعتصام ، 1/77]

[1] - الاعتصام ، 1/218- 219 ، وانظر : الاعتصام ، 2/ 354، والموافقات ، 3/283

[2] - الاعتصام ، 1/286

[3] - أنواع من لباس الصوفية 0

[4] - الاعتصام ، 2/362

المبحث الثـــامن : ترجمة مـــوجزة للإمـــام ابن أبي العز الحنفي ، ومواقفه العلمية والقولية ، في الـــــــرد على الصوفية 0

المطلب الأول : ترجمة مـــــوجزة للإمـــــام ابن أبي العز الحنفي 0

1- اسمه ونسبه :

الإمام صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالحي الدمشقي[1]

2- مولــده :

ولد في دمشق سنة 731 هـ [2]

3- مؤلفاته :

للإمام ابن أبي العز الحنفي ، عديد من المؤلفات ، منها : شرح العقيدة الطحاوية ؛ وهو كتاب مشهور ، والتنبيه على مشكلات الهداية ، والنور اللامع في ما يعمل به في الجامع ، والاتباع [3] 0

4- عقيدته ، وثناء العلماء عليه:

عقيدة الإمام ابن أبي العز الحنفي ، عقيدة السلف الصالح ، أهل السنة والجماعة[4] 0

قال ابن العماد : « مهر ، ودرّس ، وأفتى ، وخطب بحسبان مدة ، ثم ولي قضاء دمشق »[5] 0

5- وفاتـه :

توفي ابن أبي العز - رحمه الله - سنة 792 هـ [6]0

---

[1] - الدرر الكامنة ، 3/87 ، وشذرات الذهب ، 6/326 ، وقد ذكر ابن العماد : أن اسمه «محمد» ، وهو : وهم ، والصواب ما ذكر 0 (انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، بتحقيق د : التركي ، ص 67 ، ومعجم المؤلفين ، 7/159)

[2] - الدرر الكامنة ، 3/87

[3] - شرح العقيدة الطحاوية ،ص 85-86 ، و معجم المؤلفين ، 7/156

[4] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 79-81 ، و منهج وآراء الإمام ابن أبي العز الحنفي في العقيدة من خلال شرحه للطحاوية ، (رسالة ماجستير) للشيخ عبد الله بن عبيد العتيبي ، (الرياض : كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، 1418) ، ص 35

[5] - شذرات الذهب ، 6/326

[6] - الدرر الكامنة ، 3/87 ، و شذرات الذهب ، 6 /326

المطلب الثــاني : مواقف الإمــام ابن أبي العز الحنفي ، العملية والقولية في الرد على الصوفية :

1- ذم الصوفية :

قال الإمام ابن أبي العز عندما ذكر أهل التحريف [1]، وعد منهم الصوفية : « 000وكما يقوله كثـير من المبتدعة من المتنسـكة والمتصـــوفة : إنما نـــريد الأعمـــال بالعمل الحسن ، والتوفيق بين الشـريعة وبين ما يـدّعون من الباطل الـذي يسـمونه : حقـائق، وهي جهل وضلال »[2]

وقال واصفاً بعض الصوفية:« والرهبان وهم جهال المتصوفة ، المعترضــون علـى حقــائق الإيمــان والشــرع ، بــالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلـة الشيطانية ، المتضـمنة شـرع دين لم يأذن به الله ، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه -- والتعويض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان ، وحظوظ النفس »[3] 0

2- التلقـي :

وقال عن التلقي عند الصوفية : « وقال أصحاب الذوق والوجد : إذا تعارض الذوق والكشف وظاهر الشرع ، قـدمنا الـذوق والكشف ! »[4]

وقال عن زعم بعض الصوفية ، وتعلقهم بقصة الخضر- - : «وأما من تعلق بقصة الخضر مع موسى - عليهما السلام - في تجويز الاســتغناء عن الــوحي بــالعلم اللــدني الــذي يدعيه بعض من عــدم التوفيق : فهو ملحد زنــديق ، فــإن موسى -- لم يكن مبعوثــاً إلى الخضر ، ولم يكن الخضر مــأموراً بمتابعته ، ولهــذا قــال : " أنت موسى بني إسرائيل؟ "0

قال : نعم 0

ومحمد -- مبعوث إلى جميع الثقلين ، ولو كان موسى وعيسى -عليهما الســلام - حــيين لكانا من أتباعه ، وإذا نــزل عيسى - -إلى الأرض إنما يحكم بشريعة محمد -0 -

---

[1] - شرح الطحاوية ، ص 14
[2] - المرجع السابق ، ص 15
[3] - المرجع السابق ، ص 235
[4] - المرجع السابق ، ص 236

فمن ادعى أنه مع محمد -- كالخضر مع موسى ، أو جوز ذلك لأحد من الأمة : فليجدد إسلامه ، ويشهد شـهادة الحق ، فإنه مفـارق لدين الإسلام بالكلية ، فضـلاً عن أن يكـون من أوليـاء الله ، وإنما هو من أولياء الشيطان ، وهـذا الموضع مفـرق بين زنادقة القـوم ، وأهل الاستقامة »[1]

وقال عن الكشف : « وتنوع الكشف والتأثير باعتبار تنـوع كلمات الله، وكلمات الله نوعان : كونية ودينية [2] ، فكلماته الكونية : هي الـتي اسـتعاذ بها النـبي -- ، في قوله : " أعـوذ بكلمـات الله التامات " [3] وقال تعالى:] إنما أمره إذا أراد شـيئاً أن يقـول له كن فيكون [، [يس : 82] ، والكون كله داخل تحت هذه الكلمـات ، وسـائر الخوارق 0

والنوع الثاني : الكلمات الدينية ؛ وهي القرآن وشـرع الله الـذي بعث به رسوله-- ، وهي أمره ونهيه وخـبره ، وحظ العبد منها العلم بها ، والعمل والأمر بما أمر الله به ، كما أن حظ العبد عمومـاً وخصوصـاً العلم بالكونيات والتأثـير فيها ، أي : بموجبها فالأولى تدبيرية كونية 0 والثانية شـــرعية دينية0 فكشف الأولى العلم بـــالحوادث الكونية ، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية 0

وقدرة الأولى التأثير في الكونيات ، إما في نفسه كمشيه على الماء وطيرانه في الهواء وجلوسه في النار ، وإما في غـيره بإصـحاح وإهلاك وإفقار 0

وقدرة الثانية التأثير في الشرعيات إما في نفسه بطاعة الله ورسوله والتمسك بكتاب الله وسـنة رسـوله ، باطنـاً وظـاهراً ، وإما في غــيره بــأن يــأمر بطاعة الله ورســوله ، فيطــاع في ذلك طاعة شرعية 0

فإذا تقرر ذلك فاعلم أن عدم الخوارق علماً وقدرة ، لا تضر المســلم في دينه ، فمن لم ينكشف له شــيء من المغيبــات ، ولم يسـخر له شـيء من الكونيـات ، لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله ، بل قد يكــون عــدم ذلك أنفع له ، فإنه إن اقــترن بالــدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة ، وقد يكون مع الدين ، وقد يكون مع عدمه ، أو فساده أو نقصه »[4] 0

---

[1] - المرجع السابق ، ص 774
[2] - انظر : الفتاوى ، 11/270 ، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص 118 ، وشفاء العليل ، ص 282
[3] - سبق تخريجه
[4] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 749-750

وبيّن الإمـام ابن أبي العز ، أنـواع الفراسة ، وذكر منهـا: « فراسة رياضـية : وهي الـتي تحصل بـالجوع والسـهر والتخلي ، فـإن النفس إذا تجـــردت عن العوائق ، صـــار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها ، وهـذه الفراسة مشـتركة بين المـؤمن والكـافر ، ولا تــدل على إيمــان ولا على ولاية ، ولا تكشف عن حق نــافع ، ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها من جنس فراسة الولاة ، وأصحاب عبارة الرؤيا ، والأطباء ونحوهم »[1] 0

2- الاستـدلال :

قال الإمام ابن أبي العز ، في منهج أهل البدع في الاستدلال: «كل فريق من أرباب البدع ، يعرض النصــوص على بدعته ، وما ظنه معقــولاً : فما وافقه قــال إنه محكم ، وقبله ، واحتج به ! وما خالفه قال : إنه متشابه ، ثم رده 000فلذلك اشتد إنكـار أهل السـنة عليهم »[2]

وبيّن منهج أهل السنة في هذه المسألة فقال : « وطريق أهل السنة : أن لا يعـدلوا عن النص الصـحيح ، ولا يعارضـوا بمعقـول ، ولا قول فلان »[3]

وأضاف : « أما الأمور الإلهية والمعارف الدينية ، فهذه العلم فيها مأُخذ عن الرسول -- لا غير »[4]

3- الحلـول والاتحاد :

قال : « قالت طائفة من السلف : من انحرف من العلماء ففيه شبهة من اليهود ،ومن انحرف من العبـاد ففيه شـبهة من النصـارى ، 000وأكثر المنحرفين من العباد من المتصوفة ونحــوهم ، فيهم شـبه من النصارى ، ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبان ، والحلـول والاتحـاد ، ونحو ذلك » [5] 0

وقال : « وهذا القول[6] قد أفضى بقوم إلى القول بالحلول أو الاتحاد ، وهو أقبح من كفر النصارى ، فإن النصارى خصوه بالمسيح ، وهؤلاء عموا جميع المخلوقات000 » [7] 0

---

[1] - المرجع السابق ، ص 753-754 ـ وانظر : ص 766-767
[2] - المرجع السابق ، ص 500
[3] - المرجع السابق ، ص 500
[4] - المرجع السابق ، ص 230 ـ وانظر: ص 231-232
[5] - شرح العقيدة الطحاوية ـ ص 801
[6] - أي إدخال نفي الصفات في مسمى التوحيد 0 (شرح الطحاوية ـ ص 24)
[7] - شرح العقيدة الطحاوية ـ ص25

4- الفنـــاء:

وقال عن الفناء عند الصوفية : « ولا شك أن النـوع الثـاني والثالث من التوحيد[1] الذي أدَّعوا أنه توحيد الخاصة ، وخاصة الخاصة ، ينتهي إلى الفناء الذي يشـمر إليه غـالب الصـوفية ، وهو درب خطر يفضي إلى الاتحاد000»[2] 0

5- الرهبانيــة :

قال : « وأما الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات ، ويتركون الجمع والجماعـات ، فهم من الـذين ضل سـعيهم في الحيـاة الـدنيا ، وهم يحســبون أنهم يحســنون صــنعاً ، قد طبع الله على قلــوبهم 000»[3]

6- الدعـاء :

قـال ابن أبي العز : « ذهب قـوم من المتفلسـفة وغالية الصوفية، إلى أن الدعاء لا فائدة منه !

قالوا : لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب ، فلا حاجة إلى الدعاء ، وإن لم تقتضه فلا فائـدة في الـدعاء !! وقد يخص بعضهم بذلك خواص العارفين ! ويجعل الدعاء علة في مقام الخواص !! وهــذا من غلطــات بعض الشــيوخ ، فكما أنه معلــوم الفســاد بالاضطرار من دين الإسلام ، فهو معلوم الفسـاد بالضـرورة العقلية ، فإن منفعة الدعاء أمر اتفقت عليه تجارب الأمم ، حـتى أن الفلاسـفة تقول : "ضجيج الأصوات في هياكل العبـادات بفنـون اللغـات ، مُحلل ما عقدته الأفلاك المؤثرات" ، هذا وهم مشركون 0

وجواب الشبهة بمنع المقدمتين : فإن قولهم عن المشـيئة الإلهية ، إما أن تقتضــيه، أو لا تقتضــيه ، ثمَّ قسم ثــالث وهو : أن تقتضيه بشرط لا تقتضيه مع عدمه ، وقد يكـون الـدعاء من شـرطه ، كما تــوجب الثــواب مع العمل الصــالح ، ولا توجبه مع عدمه ، وكما توجب الشبع والري عند الأكل والشرب ولا توجبه مع عدمها 000فإن قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال : لا فائدة في الـدعاء ، كما لا يقـال : لا فائـدة في الأكل والشـرب والبـذر وسـائر الأسـباب ،

---

[1] - قســموا التوحيد إلى ثلاثة أنــواع هي : الأول: توحيد العامة ، والثــاني: توحيد الخاصة ، والثــالث : توحيد خاصة الخاصة 0(شرح الطحاوية ، ص53)

[2] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص55 ، وانظر : مدارج السالكين ، 3/518

[3] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص773 ، وانظر: 788-790

فقول هؤلاء كما أنه مخالفة للشـرع ، فه و مخـالف للحس والفطـرة »[1] 0

وأضاف : « وقولهم : إن اقتضت المشيئة المطلوب فلا حاجة إلى الــدعاء0 قلنا : بل قد يكــون إليه حاجة ، من تحصــيل مصــلحة أخرى ، عاجلة و آجلة ، ودفع مضرة أخرى عاجلة و آجلة 0
وكذلك قولهم : وإن لم تقتضيه فلا فائدة منه 0 قلنا : بل فيه فوائد عظيمة من جلب منــافع ، ودفع مضــار 000 بل ما يعجل للعبد من معرفته بربه وإقراره به ، وبأنه سميع قـريب قـدير عليم رحيم ، وإقراره بفقره إليه واضطراره إليه ، وما يتبع ذلك من العلوم العلية ، والأحوال الزكية ، التي هي من أعظم المطالب»[2]

وقال : « فالأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح ، والسلاح بضاربه ، لا بحده فقط ، فمـتى كـان السـلاح سـلاحاً تامـاً ، والسـاعد سـاعداً قويـاً، والمحل قـابلاً ، والمـانع مفقـود : حصـلت النكاية في العـدو ، ومـتى تخلف واحد من هـذه الثلاثة ، تخلف الأثر ، فـإذا كـان الـدعاء في نفسه غـير صـالح ، أو الـداعي لم يجمع بين قلبه ولسـانه في الدعاء ، أو كان ثمَّ مانع من الإجابة ، لم يحصل الأثر »[3]

7- الأوليــاء :

قال الإمام ابن أبي العز : « الولي خلاف العدو ، وهو مشتق من الـــولي ، وهو الـــدنو والقـــرب ، فـــولي الله : هو من والى الله بموافقته في محبوباته ، والتقرب إليه بمرضاته»[4] ، « والولاية نظـير الإيمــان 000وأن أهلها في أصــلها ســواء ، وتكــون كاملة وناقصة ، فالكاملة للمؤمـــنين المتقين 000وهي عبـــارة عن موافقة الـــولي الحميد في محابه ومســاخطه ، ليست بكـثرة صــوم ولا صــلاة ، ولا تمزق ولا رياضة »[5] 0

وقال الإمام ابن أبي العز شارحاً قول الإمام الطحاوي[6] : « ولا نفضل أحـداً من الأوليـاء ، على أحد من الأنبيـاء - عليهم السـلام - ، ونقول : نبي واحد أفضل من جميع الأولياء »0

---

1 - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 678-679
2 - المرجع السابق ، ص 680 ، وانظر : ص 296-297، 299
3 - المرجع السابق ، ص 683-684
4 - المرجع السابق ، ص 509
5 - المرجع السابق ، ص 506-507
6 - أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري الطحاوي المصري الحنفي ، فقيه مجتهد ، محدث حافظ ، مؤرخ ، من آثاره : أحكام القرآن ، المختصر في الفقه ، العقيدة الطحاوية ، وغيرها ، توفي سنة 321هـ 0(معجم المؤلفين ، 2/107)

قال : « يشير الشيخ - رحمه الله تعالى - إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة ، وإلا فأهل الاستقامة يوصفون بمتابعة العلم ، ومتابعة الشـــــرع ، فقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعة الرسل000 »[1] 0

وقال عن جهلة الصوفية : « وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة وتصفية نفسه ، إلى ما وصلت إليه الأنبياء ، من غير اتباع لطريقتهم »[2] ، وأضاف : « ومنهم من يظن أنه قد صـــار أفضل من الأنبيـــاء !! ومنهم من يقـــول : إن الأنبيـــاء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء !! ، ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء !! 000وهـو- يقصد ابن عـربي - لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره قال : النبوة ختمت ولكن الولاية لم تختم ! وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبـــوة ، وما يكـــون للأنبياء والمرسلين ، وأن الأنبياء مستفيدون منها 000»[3]

وقال : « فلا طريقة إلا طريقة الرسول -ﷺ- ، ولا حقيقة إلا حقيقته ، ولا شريعة إلا شريعته ، ولا عقيدة إلا عقيدته ، ولا يصل أحد من الخلق بعـــده إلى الله وإلى رضـــوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً ، ومن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر ، ملتزماً لطاعته فيما أمر 000 لم يكن مؤمناً ، فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى ، ولو طار في الهواء ، ومشى على الماء، وأنفق من الغيب ، وأخـرج الـذهب من الجيب ، ولو حصل من الخـوارق مـاذا عسى أن يحصل »[4] 0

8- الأحوال والمقامات :

قال عن التوكل وفعل الأسباب : « قال تعالى :] 000ومن يتوكل على الله فهو حسبه 000 [، [الطلاق : 3] ، أي : فهو كافيه ، لا يحوجه إلى غيره ، وقد ظن بعض الناس - يعني الصوفية - أن التوكل يُنافي الاكتساب ، وتعاطي الأسباب ، وأن الأمور إذا كانت مقدوره فلا حاجة إلى الأسباب ! وهذا فاسد، فإن الاكتساب : منه فرض ، ومنه مستحب ، ومنه مباح ، منه مكروه ، ومنه حرام ، 000 وقد كان النـبي -ﷺ- ، أفضل المتـوكلين ، يلبس لأمَـةَ الحـرب ويمشي في الأسواق للاكتساب ، حتى قال الكافرون :] 000مال لهذا الرسول

---

[1] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 742-743
[2] - المرجع السابق ، ص 743
[3] - المرجع السابق ، ص 743 ، وانظر : ص 744-745
[4] - المرجع السابق ، ص 768

يأكل الطعام ويمشي في الأسواق 000[[الفرقان : 7] ، ولهذا تجد أكثر ممن يرى أن الاكتساب يُنافي التوكل ، يرزقون على يد من يطعمهم ؛ إما صدقة وإما هدية، وقد يكون ذلك من مكاس ، أو من والي شرطة ، أو نحو ذلك »[1]0

قال : « ومما ينبغي أن يُعلم ما قاله طائفة من العلماء وهو : أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص في العقل ، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع ، ومعنى التوكل والرجاء ، يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع ، وبيان ذلك : أن الالتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه ، ورجاؤه والاستناد إليه ، وليس في المخلوقات ما يستحق هذا ؛ لأنه ليس بمستقل ،ولا بد من شركاء وأضداد، ومع هذا كله فإن لم يُسخر مسبب الأسباب ، لم يُسخر»[2]0

وعن تنازع الصوفية في مسألة الفقير الصابر ، والغني الشاكر، قال: « أكرم المؤمنين هو الأطوع لله ، والأتبع للقرآن ، والأتقى هو الأكرم ، قال - تعالى - :] 000إن أكرمكم عند الله أتقاكم 000[[الحجرات : 13] ، 000وبهذا الدليل يظهر ضعف تنازعهم في مسألة الفقير الصابر ، والغني الشاكر ، وترجيح أحدهما على الآخر ، وأن التحقيق : أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغنى ، وإنما راجع إلى الأعمال والأحوال والحقائق ، فالمسألة فاسدة في نفسها ، فإن التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان ، لا بفقر ولا غنى 0000 والفقر والغنى ابتلاء من الله - تعالى - كما قال - تعالى- :] فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن [[الفجر : 15] ، فإن استوى الفقير الصابر ، والغني الشاكر في التقوى ، استويا في الدرجة ، وإن فضل أحدهما فيها ، فهو الأفضل عند الله ، فإن الفقر والغنى لا يوزنان ، وإنما يوزن الصبر والشكر »[3] 0

وأضاف القول : « ومنهم من أحال المسألة من وجه آخر : وهو أن الإيمان نصف صبر ، ونصف شكر ، فكل منهما لا بد له من صبر وشكر ، وإنما أخذ الناس فرعاً من الصبر ، وفرعاً من الشكر ، وأخذوا في الترجيح ، فجردوا غنياً منفقاً متصدقاً ، باذلاً ماله في وجوه القرب ، شاكر لله عليه ، وفقيراً متفرغاً لطاعة الله ، ولأوراد العبادات ، فإن تساويا تساوت درجتهما والله أعلم، ولو صح التجريد ،

[1] - المرجع السابق ، ص352
[2] - المرجع السابق ، ص 679-680
[3] - المرجع السابق ، ص 510-511

لصح أن يقال : أيما أفضل معافى شاكر ، أو مـريض صـابر ، ومطـاع شاكر ، أو مهان صابر ، وآمن شاكر ، أو خائف صابر ؟ ونحو ذلك »[1] 0

وقال عن الخوف والرجاء : « يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً ، فإن الخوف المحمود الصادق ، ما حال بين صاحبة وبين محارم الله ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط 0 والرجاء المحمود : رجاء رجل عمل بطاعة الله على نـــور من الله ، فهو راج لثوابه ، أو رجل أذنب ذنبـاً ، ثم تـاب منه إلى الله ، فهو راج لمغفرته ، قـال - تعـالى - :] إن الـذين آمنـوا والـذين هـاجروا وجاهـدوا في سـبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم [[البقرة : 218] 0

أما إذا كان الرجل متمادياً في التفريط والخطايا ، ويرجو رحمة الله ، بلا عمل، فهذا الغرور والتمني والرجاء الكاذب 000 »[2] 0

وقال : « يجب أن يكون العبد خائفاً من عذاب ربه ، راجياً رحمته ، وأن الخوف والرجاء بمنزلة الجنـاحين للعبد ، في سـيره إلى الله - تعالى - إلى الدار الآخــرة»[3]0

9- الســماع :

قال الإمام ابن أبي العز ، فيمن يصعق عند سماع الأنغام الحسـنة : «الـذين يصـعقون عند سـماع الأنغـام الحسـنة ، مبتـدعون ضـالون ! وليس للإنسـان أن يسـتدعي ما يكـون سـبب زوال عقله ! ولم يكن في الصــحابة والتــابعين من يفعل ذلك ، ولو عند ســماع القرآن »[4] 0

---

[1] - المرجع السابق ، ص 511
[2] - المرجع السابق ، ص 456 ـ وانظر: ص 457-458
[3] - المرجع السابق ، ص 791
[4] - المرجع السابق ، ص771 ـ وانظر : ص 772-773

10- المــلاميَّة :

وقال عن الملامية من الصوفية : « والطائفة الملامية ، وهم الذين يفعلون ما يلامون عليه ، ويقولون : نحن متبعون في البــاطن ، ويقصــدون إخفــاء المــرائين ! ردوا بــاطلهم بباطل آخر !! والصــراط المستقيم بين ذلك»[1] 0

هذا ما سطره الإمام ابن أبي العز ، في الرد على الصوفية ، وما قام به من جهود في سبيل نصــرة دين الله القــويم ، وتبصــير من انحرف من الصوفية ، بمعالم الحق، والطريق المبين 0

[1] - المرجع السابق ، ص 771

المبحث التاسع : ترجمة مـــــوجزة للإمـــــام ابن رجب ، ومواقفه العملية والقولية في الرد على الصوفية 0

المطلب الأول : ترجمة موجزة للإمام ابن رجب 0

1- اسمه ونسبه :

عبد الـرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود البغدادي الدمشقي الحنبلي ، زين الدين [1]0

2- مولـده :

اختلف في تاريخ مولده ، فقيل ولد ببغداد سنة 706هـ [2] ، وقيل ولد سنة 736هـ ، وهو الراجح [3]0

3- مؤلفاته :

منهـا: شـرح الترمـذي ، وقطعة من البخـاري ، وذيل الطبقـات للحنابلة ، والقواعد الفقيهة ، وجامع العلوم الحكم ، وأهـوال القبـور ، وغيرها [4] ،

وذكر بعض الباحثين أن مؤلفاته تبلغ أكثر من سبعين مؤلفاً [5]0

4- **عقيدته ،وثناء العلماء عليه** :

الإمام ابن رجب سلفي العقيدة ، من أهل السنة والجماعة[6]

قال ابن حجر : « الشيخ المحدث الحافظ »[7]

قال مؤلف المقصد الأرشد : « الشيخ العلامة الحافظ الزاهد ، شيخ الحنابلة»[8]

وجاء في شذرات الذهب : « كانت مجالس تـذكيره للقلـوب صارعة ، وللناس عامة مباركة نافعة ، اجتمعت الفـرق عليه ، ومـالت القلـوب إليه ، وله مصـنفات مفيـدة 000 أتقن الفن - فن الحـديث -

---

1 - الدرر الكامنة، 2/321 ، والمقصد الأرشد ، 2/ 81 ،وشذرات الذهب ، 6/339 ، ومنهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة ، إعداد : علي بن عبد العزيز الشبل ، تقديم فضيلة الشـيخ: صـالح الفـوزان ، (الريـاض : دار الصميعي، 1414هـ) ، ص40

2 - الدرر الكامنة، 2/321

3 - المقصد الأرشد ، 2/81 ،ومنهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ، ص41

4 - الدرر الكامنة ، 2/322 ، والمقصد الأرشد ، 2/62

5 - منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ، ص 87-113

6 - منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ، ص 38 ، 67

7 - الدرر الكامنة ، 2/331

8 - المقصد الأرشد ، 2/81

وصـار أعـرف أهل عصـره بالعلل ، وتتبع الطـرق ، وتخـرج به غـالب أصحابنا الحنابلة بدمشق »[1]0

5- وفاتــه :

توفي الإمام ابن رجب - رحمه الله - في شهر رجب سنة 795 هـ 0[2]

المطلب الثـــــاني : مواقف الإمـــــام ابن رجب ، العملية والقولية ، في الرد على الصوفية0

1- التلقـي :

قال الإمام ابن رجب : « ومما أحدث من العلوم : الكلام في العلوم الباطنة ، من المعارف وأعمال القلـوب ، وتوابع ذلك ، بمجـرد الــرأي والــذوق أو الكشف ، وفيه خطر عظيم ، وقد أنكــره أعيــان الأئمة ؛ كالإمام أحمد وغيره»[3] 0

وقال في ترجمة ابن شيخ الحزاميين : «وأقبل على مطالعة كتب الحــديث والســنة والآثــار ، وتخلى من جميع طرائقه وأحواله ، وأذواقه وسلوكه، واقتفى آثار الرسول - ﷺ - وهديه وطرائقه المـأثورة عنه في كتب السنن والآثار ، واعتـنى بـأمر السـنة أصـولاً وفروعـاً ، وشرع في الرد على طوائف المبتدعة ، الذين خـالطهم وعـرفهم من الاتحادية وغيرهم »[4] 0

2- الفناء والحلول والاتحاد ووحدة الوجود :

قال : « قد اتسع الخرق في هذا الباب - باب إحداث العلوم - ودخل فيه قـــوم إلى أنـــواع الزندقة 000 وإلى دعـــوى الحلـــول ، والاتحاد ، أو القول

بوحدة الوجود ، وغير ذلك من أصول الكفر والفسوق والعصيان»[5]

[1] - 6/339-340
[2] - الدرر الكامنة ، 3/ 322 ، وشذرات الذهب ، 6/339-340
[3] - فضل علم السلف ، ص 44
[4] - الذيل على طبقات الحنابلة ، 4/359
[5] - فضل علم السلف ، 44-45 ، وانظر: استنشاق نسيم الإنس ، ص 21

قال في ترجمة الهروي : « وله كلام في التصوف والسلوك دقيق 0
وقد اعتـنى بشــرح كتابه " منــازل الســائرين " جماعة 0 وهو كثــير الإشـارة إلى مقـام الفنـاء في توحيد الربوبية ، واضـمحلال ما سـوى الله -تعالى - في الشهود ، لا في الوجـود ، فتـوهم فيه أنه يشـير إلى الاتحاد ، حتى انتحله قـوم من الاتحادية وعظمـوه لـذلك ، وذمه قـوم من أهل السنة ، وقدحوا فيه بـذلك ، وقد بـرأه الله من الاتحـاد ، وقد انتصر له شــيخنا أبو عبد الله بن القيم في كتابه الــذي شــرح فيه " المنازل" وبيّن أن حمل كلامه على قواعد الاتحاد زور وباطل »[1]

3- العبــادات :

قال عن بدعة صلاة الرغائب : « 000الأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب، في أول ليلة جمعة من شهر رجب ، كـذب وباطل ، لا تصح ، وهــذه الصــلاة بدعة عند جمهــور العلمــاء 000لم يــذكرها المتقــدمون لأنها أحــدثت بعــدهم ، وأول ما ظهــرت بعد الأربعمائة ، فلذلك لم يعرفها المتقدمون، ولم يتكلموا فيها » [2] 0

وقال عن صيام الدهر : « كان رسول الله -ﷺ- ينكر على من يســرد صــوم الــدهر ، ولا يفطر منه ، ويخـبر عن نفسه : أنه لا يفعل ذلك000»[3]

4- الأوليــاء :

قال الإمام ابن رجب : « فقسم أولياءه المقربين إلى قسمين : أحدهما: من تقرب إليه بأداء الفرائض ، ويشمل ذلك فعل الواجبات ، وترك المحرمات ، لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده 0
والثانـي: من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل ، فظهر بــذلك إلى أنه لا طريق يوصل إلى التقــــرب إلى الله - تعــــالى - وولايته ، ومحبته سوى طاعته الـتي شـرعها على لسـان رسـوله -ﷺ- ،فمن ادعى ولاية الله ومحبته بغير هذا الطريق ، تبيّن أنه كاذب في دعــواه»[4]0

---

1 - الذيل على طبقات الحنابلة ، 3/67
2 - لطائف المعارف ، ص 131
3 - المرجع السابق ، ص 136-137
4 - جامع العلوم والحكم ، ص 476 0 هذا بخلاف ما يدعيه بعض الصوفية ، من أن الولي إذا وصل إلى مرتبة معينة ، سقط عنه التكليف والأمر والنهي 0

وقال عن كراهة السلف للشهرة والغلو : « ومن هذا الباب أيضاً كراهة أن يشهر الإنسان نفسه ، بالعلم والزهد والدين ، أو إظهار الأعمال والأقوال والكرامات ، ليزار وتلتمس بركته ودعاؤه ، وتقبيل يده ، وهو محب لذلك ، ويقيم عليه ، ويفرح به ويسعى في أسبابه ، ومن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة »[1] 0

وقال عن تفضيل بعض الصوفية الأولياء على الأنبياء : « وقد اتسع الخرق في هذا الباب - مما أحدث من العلوم الباطنة - ، ودخل فيه أقوام إلى أنواع الزندقة والنفاق ، ودعوى أن أولياء الله ، أفضل من الأنبياء ، أو أنهم مستغنون عنهم ، وإلى التنقيص بما جاءت به الرسل من الشرائع »[2]0

5- الكرامات :

قال في ترجمة الشيخ عبد القادر : « كان الشيخ عبد القادر - رحمه الله - في عصره معظماً ، يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العباد والزهاد ، وله مناقب وكرامات كثيرة ، ولكن قد جمع المقرئ أبو الحسن الشطنوفي المصري ، في أخبار الشيخ عبد القادر ومناقبه ، ثلاث مجلدات ، وكتب فيها الطم والرم ، وكفى بالمرء كذباً ، أن يحدث بكل ماسمع 0

وقد رأيت بعض هذا الكتاب ، ولا يطيب على قلبي أن أعتمد على شيء مما فيه من الرواية عن المجهولين ، وفيه من الشطح ، والطامات، والدعاوى ، والكلام الباطل، مالا يحصى ، ولا يليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبد القادر - رحمه الله - »[3] 0

6- الأحوال والمقامات :

أوضح الإمام ابن رجب أن مفهوم الزهد عند السلف ، ليس بإضاعة المال ، أو تحريم الحلال ، فقال: « تكلم السلف ومن بعدهم في تفسير الزهد في الدنيا ، وتنوعت عباراتهم عنه ، - ومنها - : ليس

---

[1] - ذم المال والجاه ، ص 66
[2] - فضل علم السلف ، ص 44
[3] - الذيل على طبقات الحنابلة ، 3/ 293

الزهادة في الـدنيا بتحـريم الحلال ، ولا إضـاعة المـال، وإنما الزهـادة في الدنيا: أن تكـون بما في يد الله أوثق مما في يـدك ، وإذا أصـبت بمصـيبة، كنت أشد رجـاء لأجرها وذخرها ، من إياها لو بقيت لك »[1] 0

وقال عن التوكل وتعاطي الأسباب : « اعلم أن تحقيق التوكل ، لاينـافي السـعي في الأسـباب الـتي قـدر الله - سـبحانه وتعـالى - المقدورات بها ، وجـرت سـنته في خلقه بـذلك ، فـإن الله - تعـالى - أمر بتعـاطي الأسـباب ، مع أمـره بالتوكل ، فالسـعي في الأسـباب بـالجوارح طاعة له ، والتوكل بـالقلب عليه إيمـان به »[2] ، وأضـاف القول أنه :« لا يشرع ترك الأسباب الظـاهرة »[3] لأن « العبد مـأمور بالسـعي في اكتسـاب الخـيرات والاجتهـاد في الأعمـال الصـالحات ، وكل ميسر لما خلق له »[4] 0

وقال عن الخوف والرجاء والمحبة: «وقد علم أن العبادة إنما تنبني على ثلاثة أصول : الخـوف والرجـاء والمحبة ، وكل منها فـرض لازم ، والجمع بين الثلاثة حتم ، فلهـذا كـان السـلف يـذمون من تعبد بواحد منها ، وأهمل الآخرين 0

فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حدثت من التشديد في الخوف والإعراض عن المحبة والرجاء 0

وبدع المرجئة نشأت من التعلق بالرجاء وحده ، والإعراض عن الخوف 0

وبدع كثير من أهل الإباحية ؛ ممن ينتسب إلى التعبد ، نشأت من إفراد المحبة ، والإعراض عن الخوف والرجاء »[5]0

7- السـماع :

ألف الإمام ابن رجب مصنفاً كاملاً ، في بيان حكم السماع المحدث، وذلك عندما سؤل عن ذلك ، فقال : « سـئلت عن السـماع المحدث وما يتضمنه : من سماع الغناء وآلات اللهو 0هل هو محظـور

---

1 - جامع العلوم ، 388-389
2 - المرجع السابق ، ص 567
3 - لطائف المعارف ، ص 77
4 - المرجع السابق ، ص 216
5 - استنشاق نسيم الأنس ، ص 18-21 ، وانظر : التخويف من النار ، ص 29-34، واختيار الأولى ، ص 96، و نزهة الأسماع، ص 91 ، وتحقيق كلمة الإخلاص ، تأليف الحافظ ابن رجب الحنبلي ، تحقيق وتخريج : إبراهيم عبد الله الحازمي ، ط1 ، (الرياض : دار الشريف للنشر والتوزيع ، 1413هـ) ، 25-30

أم لا ؟ وهل ورد في حظـره دليل صـريح أم لا ؟ وعن سـماعه : من المرأة الأجنبية ، وعمّن يفعله قربة وديانة ؟ »[1]0

ثم قال : « فأجبت والله الموفق : هذه المسائل قد انتشر فيها بين النـاس المقـال، وكـثر القيل والقـال ، وصـنف النـاس فيها : تصـانيف مفــردة ، وذكــرت في أثنــاء التصــانيف ضــمناً، وتكلم فيها : أنــواع الطوائف ؛ من الفقهــاء ، وأهل الحــديث ، والصــوفية ، ثم منهم من يميل إلى الرخصة ، ومنهم من يميل إلى المنع والشدة 0

واستيفاء الكلام في ذلك يستدعي تطويلاً كثيراً ، ولكن سنشــير - إن شاء الله تعالى بعونه وتوفيقه - إلى نكت مختصرة وجيزة وضــابطة لكثـير من مقاصد هـذه المسـائل 000 فنقـول : سـماع الغنـاء وآلات الملاهي على قسمين :

فإنه تــارة يقع على وجه : اللعب واللهو ، وإبلاغ النفــوس حظوظها ، من الشهوات واللذات 0

وتارة يقع على وجه التقرب إلى الله - عز وجل - باستجلاب صلاح القلوب، وإزالة قسوتها وتحصيل رقتها 0

القسم الأول : أن يقع على وجه اللعب واللهو ، فـأكثر العلمـاء ، على تحريم ذلك ، أعـني سـماع الغنـاء ، وسـماع آلات الملاهي كلها ، وكل منها محرم بانفراد ، وقد حكى أبو بكر الآجري ،وغيره إجماع العلمــاء على ذلك ، والمراد بالغناء المحرم : ما كان من الشـعر الرقيق الـذي فيه : تشــبيب بالنســاء ونحــوه ، مما توصف فيه محاسن من تهيج الطباع بسماع وصف محاسـنه، فهـذا هو الغنـاء المنهي عنه000 فأما ما لم يكن فيه شـيء من ذلك فإنه ليس بمحـرم ،وإن سـمي غنـاء ، وعلى هـذا حمل الإمـام أحمد حـديث عائشة - رضي الله عنهـا- في الرخصة في غنـاء نسـاء الأنصـار ، وقـال : هو غنـاء الركبـان أتينـاكم أتيناكم [2] »[3] 0

وقال : « وقد حكى زكريا بن يحـيى السـاجي[4] في كتابه اختلاف العلماء : اتفاق العلماء على النهي عن الغناء ، إلا إبـراهيم بن سعد المدني ، وعبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصـرة ، وهـذا في الغنــاء دون ســماع آلات الملاهي ، فإنه لا يعــرف عن أحد ممن ســـلف الرخصة فيها ، وإنما يعـــرف ذلك عن بعض المتـــأخرين من الظاهرية والصوفية ، ممن لا يعتد بـه»[5] 0

---

[1] - نزهة الأسماع ، ص23
[2] - يبق تخريجه 0
[3] - نزهة الأسماع ، ص 25-26
[4] - هو أبو يحيى البصري ، ثقة فقيه محدث 0[طبقات الشافعية ، 3/299]
[5] - نزهة الأسماع ، 59-60

وأضاف القول : « القسم الثاني : أن يقع استماع الغناء بآلات اللهو ،وبـــدونها ، على وجه التقـــرب إلى الله - تعـــالى - ، وتحريك القلـوب إلى محبته ، والأنس به والشـوق إلى لقائه ، وهـذا هو الـذي يدعيه كثير من أهل السلوك ، ومن تشـبه بهم ، فهـذا المتشـبه بهم ، مخــــادع ملبس ، وفســـــاد حاله أظهر من أن يخفى على أحد ، وأما الصـادقون في دعـواهم ذلك وقليل ما هم ، فـإنهم ملبـوس عليهم ، حيث تقربوا إلى الله - تعالى - بما لم يشرعه الله - تعالى - ، واتخذوا ديناً ، لم يأذن الله فيه »[1]0

وقال كذلك : « وأدخلـوا في هـذا الطريق - التصـوف - أشـياء كثـيرة ليست من الــدين في شــيء ، فبعضــها زعمــوا أنه يحصل به ترقيق القلوب : كالغناء والـرقص ، 000 شـابهوا بـذلك الـذين اتخـذوا دينهم لهواً ولعباً »[2]0

8- اللبـــاس :

قال الإمام ابن رجب عن لباس الصوفية : « وأدخلوا في هذه الطريقة أشـياء كثيــرة ، ليست من الــدين في شــيء 000بعضــها زعموا أنه يكســر
النفـوس، أو التواضع ، كشـهوة اللبـاس ، وغـير ذلك مما لم تـأت به الشريعة»[3]

وقال : « فمتى أظهر الإنسان لباس المساكين لدعوى الصلاح ، ليشتهر بذلك عند الناس ، كان ذلك كـبراً وريـاء ، ومن هنا تـرك كثـير من السلف المخلصين اللباس المختص بالفقراء والصـالحين ، وقـالوا : إنه شهرة»[4] 0

« فلهـذا كـره من كـره من السـلف ، كـابن سـيرين وغـيره ، لبـاس الصوف حيث صار شـعار الزاهـدين ، فيكـون لباسه إشـهاراً للنفس ، وإظهاراً للزهد »[5] 0

ما سلف تسطيره ، هي مواقف وجهود الإمام ابن رجب الحنبلي ، في الــرد على الصــوفية ، وبيــان ضــلالهم ، في كثــير من المســائل الشرعية التي تطرق لها ، وهذه المواقف والجهود ، تدفع كل ما يثـار

---

[1] - المرجع السابق ، ص 68
[2] - فضل علم السلف ، ص 45 ، وانظر: الذيل على طبقات الحنابلة ، 3/ 366، و 4/195-200
[3] - فضل علم السلف ، ص 45
[4] - اختيار الأولى ، ص80
[5] - المرجع السابق ، ص 80

من شـــبه ، حـــول ابن رجب ، وموقفه من التصـــوف، وتنفي عنه الانتساب إلى التصوف والصوفية[6]

ويتكون من تمهيد وسبعة مباحث :

التمهيــد : عموم أساليب السـلف ووسـائل في الـرد على أهل البدع 0

المبحث الأول : الاستتابة ، وإتلاف المنكر 0

المبحث الثاني : التثريب والتوبيخ والتكفير 0

المبحث الثالث : المناظــرة0

المبحث الرابع : ذم الكتب الصوفية وإحراقها 0

المبحث الخامس : الضــرب 0

المبحث السادس : السجن 0

المبحث الســابع : الشــهادة بما يــوجب القتل ، والفتــوى بالقتل 0

[6] - انظر: منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة ، ص 79

التمهيــد :

تنوعت أساليب علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، ووسائلهم في الرد على الصوفية ، وذلك تبعاً لتلبس الصوفية بالمنكر ، ومـدى شـناعة المنكر في ذاته ، وقد أشـار الإمـام الشـاطبي ، إلى أنواع الأحكام والوسائل والأساليب ، التي يقـام بها في الجملـة، للـرد على المبتدعين ومنهم الصوفية ، قـال : « فنقـول : إن القيـام عليهم بالتثريب - التقبيح - أو التنكيل ، أو الطرد، أو الإبعـاد ، أو الإنكـار ، هو بحسب حالة البدعة في نفســـها ، من كونها عظيمة المفســـدة في الــدين أم لا ، وكــون صــاحبها مشــتهراً بها أو لا ، وداعيــاً إليها أو لا، ومستظهراً بالأتباع ، وخارجاً عن النـاس أو لا ، وكونه عـاملاً بها على جهة الجهل أو لا »[1] 0

ثم ذكر الإمام الشاطبي ، تلك الأساليب والوسائل ، التي تكلم بها علماء السلف في رد المبتدعين ، فقال :

الأول : الإرشاد والتعليم ، وإقامة الحجة 0

الثاني : الهجران ، وترك الكلام والسلام 0

الثالث : التغريب 0

الرابع : السجن 0

الخامس : ذكرهم بما هم عليه ، وإشاعة بدعتهم ، كي يُحذروا 0

السادس : القتال 0

السابع : القتل ، إن لم يرجعوا من الاستتابه ، بعد إظهار البدعة 0

الثــامن : من أسر بدعته وكــانت كفــراً، أو ما يرجع إليه ، فالقتل بلا استتابه، لأنه من باب النفاق ؛ كالزنادقة 0

التاسع : تكفــير ما دل الــدليل على كفــره ، كما إذا كــانت البدعة صريحة في الكفر ، كالإباحية ، والقائلين بالحلول ، كالباطنية 0

العاشر : لا يــرثهم ورثتهم من المســلمين ، ولا يرثــون إذا مــاتوا ، ولا يصلى عليهم ، ولا يدفنون في مقابر المسلمين 0

الحادي عشر: الأمر بأن لا يناكحوا 0

الثاني عشر : تجريحهم على الجملة ، فلا تقبل شهادتهم ، ولا روايتهم ، ولا يكونوا ولاة ، ولا قضاة 0

---

[1] - الاعتصام ، 1/140

الثالث عشر: ترك عيادة مرضاهم 0
الرابع عشر: ترك شهود جنائزهم 0
الخامس عشر: الضرب [1] 0

وقد طبق علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، جُلَّ هـذه الوسـائل والأسـاليب ، في مبتدعة الصـوفية ، وتـدرجوا معهم : من الوعظ والإرشاد والتعليم ، مروراً بباقي الوسائل والأساليب ، وانتهاءً بالقتل ، لمن لم تندفع
بدعته وفساده إلا بالقتل 0

المبحث الأول : والاستتابة ، وإتلاف المنكر0

استعمل علماء السـلف هـذا الأسـلوب ، ضد بعض مبتدعة الصوفية ، والـذين كـانوا يحتـاجون لهـذا الأسـلوب ، مع وسـيلة إتلاف المنكرات ، التي كان يتلبس بها بعض الصوفية 0

قال الإمام ابن كثير : « في رجب - سنة 704 هـ - أُحضر إلى الشيخ تقي الدين ابن تيميه ، شيخ كان يلبس دلقاً كبيراً متسـعاً جـداً ، يسمى الشيخ المجاهد إبراهيم القطـان ، فـأمر الشـيخ بتقطيع ذلك الدلق ، فتناهبه الناس من كل جـانب وقطعـوه ، حـتى لم يـدعوا منه شـيئاً ، وأمر بحلق رأسه ، وكـان ذا شـعر ، وقلم أظفـاره ، وكـانوا طـوالاً جـداً، وحف شـاربه المسـبل على فمه ، المخـالف للسـنة ، واستتابه من كلام الفحش ، وأكل ما يغير العقل من الحشـيش وما لا يجوز من المحرمات وغيرها 0

وبعدها استحضره الشيخ محمد الخباز البلاسي فاستتابه أيضاً عن أكل المحرمات، ومخالطة أهل الذمة ، وكتب عليه مكتوباً ، أن لا يتكلم في تعبير المنامات ، ولا في غيرها بما لا علم له به»[2] 0

---

1 - الاعتصام ، 1/141 " بتصرف يسير "
2 - البداية والنهاية ، 13/442-443

وقال ابن رجب في ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي : « وكثيراً ما كان بدمشق ينكر المنكر، ويكسر الطنـابير والشـبابات »[1] 0

وقال في ترجمة المعمر بن علي : « خرج مرة فلقي مغنية ، قد خرجت من عند تركي ، فقبض على عودها وقطع أوتاره »[2] 0

وقال ابن كثير : « وفي هذا الشهر - رجب سنة 704هـ - بعينه ، راح الشيخ تقي الدين ابن تيميه إلى مسجد التاريخ ، وأمر أصحابه ، ومعهم حجـارون بقطع صـخرة كـانت هنـاك ، 000تـزار وينـذر لها ، فقطعها وأراح المسـلمين منها ومن الشـرك ، فـأزاح عن المسـلمين شـبهة ، كـان شـرها عظيمـاً ، وبهـذا وأمثاله حسـدوه ، وأبـرزوا له العداوة »[3]0

المبحث الثاني : التثريب والتـوبيخ والتكفـير ، لمن اشـتهر بالابتداع من الصوفية0

استعمل علماء السلف ، هذا الأسلوب ، لبيان ضلال بعض الصوفية ، و انحرافهم عن الصـراط المسـتقيم ، و فسـاد عقيـدتهم ، حتى لا يغتر بهم من يجهل حالهم ومآلهم 0

قال شيخ الإسلام ابن تيميه : « ابن الفارض - من متأخري الاتحاديـة- صـاحب القصـيدة التائية المعروفة : " بنظم السـلوك " ، وقد نظم فيها الاتحـاد نظمـاً رائق اللفظ ، فهو أخبث من لحم خـنزير في صينية من ذهب ، وما أحسن تسميتها : " بنظم الشكوك"»[4]0

وقال الإمام ابن أبي العز ، في ابن عربي : « فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب ، وللرسـول بلبنة فضة ، فيجعل نفسه أعلى من الرسول ؟! »[5] 0

---

1 - الذيل على طبقات الحنابلة ، 4/13
2 - المرجع السابق ، 3/107
3 - البداية والنهاية ، 13/443 ، وانظر : شذرات الذهب، 6/9 ، وينبغي أن يلاحظ أن إزالة المنكر بـالإتلاف ليست مخولة لكل أحد ، وإنما لمن له الولاية في ذلك ، أو يتولى الحسبة ، 0
4 - الفتاوى ، 4/73-74 ، وانظر : 11/247
5 - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 745

ووصف شيخ الإسلام ابن تيميه ، العفيف التلمساني ، بالفاجر التلمساني ، وأنه أحذق القوم بالكفر [1] 0

وقال الإمام الذهبي في علي بن أبي الحسن الحريري : « كبير الفقهاء البطلة»[2]0

وقال في ترجمة الباجريقي : « الضال الزنديق » [3] 0

وقال شيخ الإسلام في الحلاج : « من اعتقد ما يعتقده الحلاج من المقالات ، التي قتل الحلاج عليها ، فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين ، فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد ، ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد »[4] 0

وقال الإمام الذهبي في ترجمة يونس بن يوسف : « شيخ اليونسية ، أولي الزعارة، والشطح ، والخواثة ، وخفة العقل »[5]0

المبحث الثالث : المناظـرة :

المناظرة وسيله شرعية لإفحام الخصوم ، وقد استخدم علماء السلف المناظرة وسيلة من الوسائل ، التي يدفعون بها بدع الصوفية 0

قال الإمام ابن عبد الهادي ، يصف المناظرة التي جرت بين شيخ الإسلام ابن تيميه ، وطائفة من الصوفية : « اجتمع جماعة من الأحمدية الرفاعية ، عند نائب السلطنة بالقصر، وحضر الشيخ تقي الدين ، وطلبوا أن يسلم إليهم حالهم ، وأن الشيخ تقي الدين لا يعارضهم ولا ينكر عليهم ، وأرادوا أن يظهروا شيئاً مما يفعلونه ، فانتدب لهم الشيخ وتكلم باتباع الشريعة، وأنه لا يسع أحداً الخروج عنها ، بقول ولا فعل ، وذكر أن لهم حيلاً يتحيلون بها في دخول النار 000 وقال لهم : من أراد دخول النار فليغسل جسده في الحمام ،

[1] - انظر: الفتاوى ، 2/169-170 ـ والرجال الذين تكلم عليهم شيخ الإسلام ،جمعه وأعده عبد الرحمن السحيباني، ط1 ـ (الرياض : دار الوطن ـ 1416هـ) ـ ص 26 ـ والموسوعة الصوفية ، تأليف د: عبد المنعم الحفني ، ط1 ـ (القاهرة : دار الرشاد ، 1412هـ) ـ ص 85

[2] - السير ـ 23/224

[3] - ذيل تاريخ الإسلام ، ص 265

[4] - الفتاوى ، 2/480

[5] - السير ـ 22/179، وانظر : تاريخ الإسلام ، (ط62) ـ ص 424

ثم يدلكه بالخل ، ثم يدخل ، ولو دخل لا يلتفت إلى ذلك ، بل هو نـوع من فعل الدجال عندنا 0 وكانوا جمعاً كثيراً 0

وقال الشيخ صالح شيخ المنيبيع : نحن أحوالنا تنفق عند التتار ، ما تنفق قـدام الشـرع »[1] ، « فضـبط الحاضـرون عليه تلك الكلمة ، وكـثر الإنكـار عليهم من كل أحد ، ثم اتفق الحـال على أنهم يخلعـون الأطــواق الحديدية من رقــابهم ، وأن من خـــرج منهم عن الكتـــاب والسنة ، ضرب عنقه »[2] 0

المبحث الرابع : ذم الكتب الصوفية ، وإحراقها 0

جمع علماء السلف ، بين أسلوب الذم ، ووسيلة الإحراق ، لــدرء خطر الكتب الصــوفية ، الــتي تزخر بالبــدع ، وتخــالف المنهج الشرعي 0

قال الإمام الشاطبي عن كتاب " قوت القلوب " لأبي طالب المكي :«لأبي طالب آراء خـالف فيها العلمـاء ، حـتى أنه ربما خـالف الإجمــــــاع في بعض المواضـــــيع ، ولكن له كلام حسن في الوعظ والتذكير، والتحريض على طلب الآخرة ، فلذلك إذا احتـاج الطلبة إلى كتابه " قوت القلوب " طالعوه متحرزين ، وأما العـوام ، فلا يحل لهم مطالعته »[3]0

كما حذر العلماء من كتب الغزالي ، وقاموا بإحراقها [4] 0

وقال الذهبي : « ومما نقم عليه - الغزالي - ما ذكر من الألفاظ المستبشعة بالفارسية في كتاب " كيمياء السعادة و العلوم " وشــرح بعض الصـور والمسـائل بحيث لا توافق مراسم الشـرع وظـواهر ما عليه قواعد الملة ، وكان الأولى به - والحق أحق ما يقال - تـرك ذلك التصنيف ، والإعراض عن الشرح له»[5]

وقال عنها شيخ الإسلام ابن تيميه : « وتجد أبا حامد الغزالي - مع أنه له من العلم بالفقه ، والتصوف والكلام والأصول ، وغير ذلك ، مع الزهد والعبـادة ، وحسن القصد ، وتبحـره في العلـوم الإسـلامية أكثر من أولئك - يذكر في كتابه " الأربعين " ونحوه كتاب " المضـنون

---

1 - العقود الدرية ، ص 194-195

2 - البداية والنهاية ، 13/445

3 - الإفادات والإنشادات ، ص 43-44

4 - انظر: السير ، 19/240 ، و20 /124 ، والعقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية ، ص 34-35

5 - السير ، 19/326 ، ونقل الذهبي عن أبي علي الصدفي : « 000قال والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة ، والتصـانيف العظيمة ، غلا في طريقة التصـوف ، وتجـرد لنصر مـذهبهم ، وصـار داعية في ذلك ، وألف فيه تواليفه المشهورة ، وأخذ عليه فيها مواضع ، وساءت به ظنـون الأمة ، والله أعلم بسـره ، ونفذ أمر السـلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها ، فامتثل ذلك » السير ، 19/ 327

به على غير أهله"[1] : فإذا طلبت ذلك الكتاب واعتقدت فيه أسرار الحقائق وغاية المطالب ، وجدته قول الصابئة المتفلسفة بعينه »[2]

وقال الإمام الذهبي عن كتاب " فصوص الحكم " لابن عربي : «000وعلق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة ، ومن أرداء تواليفه كتاب" الفصوص"، فإن كان لا كفر فيه ، فما في الدنيا كفر »، وأضاف : « ولا ريب أن كثيراً من عباراته له تأويل ، إلا كتاب " الفصوص " »[3] 0

وقال عن تصانيف السلمي : « وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة ، وفي حقائق تفسيره أشياء لا يسوغ أصلاً ، عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية »[4] 0

وذكر الإمام الذهبي ، أيضاً عدداً من كتب الصوفية ، في موضع الذم، فقال : « قال الحافظ سعيد بن عمرو البردعي: شهدت أبا زُرعة - وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه - فقال للسائل : إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدع وضلالات ؛ عليك بالأثر ؛ فإنك تجد فيه ما يغنيك 0 قيل له : في هذه الكتب عبرة 0 فقال : من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم أن سفيان ومالكاً والأوزاعي ، صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس ، ما أسرع الناس إلى البدع !»[5] وأضاف الإمام الذهبي القول :« وأين مثل الحارث ، فكيف لو رأى أبو زُرعة تصانيف المتأخرين كـ " القوت " لأبي طالب ، وأين مثل : " القوت " ! كيف لو رأى " بهجة الأسرار " لابن جهضم ، و " حقائق التفسير " للسلمي لطار لُبُّه0

كيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسي في ذلك على كثرة ما في "الإحياء" من الموضوعات 0 كيف لو رأى : الغنية " للشيخ عبد القادر ! كيف لو رأى " فصوص الحكم " ، و" الفتوحات المكية !"»[6]

---

[1] - قال شيخ الإسلام : « وأما المضنون به على غير أهله ، فقد كان طائفة أخرى من العلماء يكذبون ثبوته عنه ، وأما أهل الخبرة به وبحاله ، فيعلمون أن هذا كله كلامه» . [الفتاوى ، 4/65] 0

[2] - الفتاوى ، 4/63

[3] - السير ، 23/ 48-49

[4] - السير ، 17/252

[5] - قلت : منقول مثل هذا القول عن الإمام أحمد " انظر : ص "

[6] - ميزان الاعتدال ، 2/165-166

المبحث الخامس : الضـرب 0

وكذلك استخدم علماء السلف ، الضرب كوسيلة من الوسائل ، بعد استنفاد أسلوب الاستتابة والتعليم ، لردع المبتدعة من الصـوفية 0

قال ابن كثير في ترجمه إبراهيم الموله[1] : « وقد اسـتتابه الشيخ تقي الدين ابن تيميه ، وضربه على تـرك الصـلوات ، ومخالطة القاذورات ، وجمع النساء والرجال حوله ، في الأمكان النجسة »[2]0

وقال ابن القيم ، عن السماع المبتدع عند الصوفية ، وأسلوبه ووســيلته في إزالته : « قلت : ومن أعظم المنكــرات تمكينهم من إقامة هـذا الشـعار الملعـون هو وأهلـه في المسـجد الأقصى عشـية عرفه ، ويقيمونه أيضاً في مسجد الخيف أيـام مـنى ، وقد أخرجنـاهم منه بالضــرب والنفي مــراراً ، ورأيتهم يقيمونه بالمســجد الحـــرام نفسه ، والناس في الطواف ، فاستدعيت حزب الله ، وفرقنا شملهم »[3]0

المبحث السادس : السجن 0

قال الإمام الذهبي في ترجمة الحريري : « شهد عليه خلق كثير ، بما يوجب القتل ، ولم يقدم السلطان على قتله ، بل سجنه مــرتين »[4] 0

المبحث الســابع : الشــهادة بما يــوجب القتل ، والفتــوى بالقتل 0

قال الإمام الذهبي في ترجمة الباجريقي : « فشهدوا عليه بما يبيح للدم»[5] 0

وأضاف « وحكي عنه - الباجريقي - التهاون بالصلوات ، وذكر نبينا - ﷺ - من غير تعظيم ، ولا صـلاة 000فحكم القاضي 000 بإراقة

---

[1] - إبراهيم المولـه ، الذي يقال له : القميني ؛ لإقامته بالقمامين ، توفي كهلاً ، سنة 725هـ (البداية والنهاية ، 14/535)

[2] - البداية والنهاية ، 14/535

[3] - إغاثة اللهفان ، 1/231

[4] - السير ، 23/225 ، وانظر : خبر سجن الحلاج ومقتله في السير ، 14/332

[5] - ذيل تاريخ الإسلام ، ص 265

دمه بشهادة عدد ، اعتمد منهم على ستة ، فاختفى ، ثم انسحب إلى العراق » 0[1]

وقال ابن كثير في ترجمة الحريري : « ولقد أفتى في قتله مراراً ، جماعة من علماء الشريعة »[2] 0

وقال شيخ الإسلام ، عن قتل الحلاج : « إنما قتلوه على الحلول والاتحاد ، ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة ، والإلحاد »[3] 0

هذه مجمل أساليب ووسائل السلف ، في الرد على الصوفية ، وعند تتبع هذه الوسائل والأساليب ، تظهر براعة السلف وشجاعتهم ، في الحق ومقارعة الخصوم ، بالحجة والبرهان ، وأنهم لم يكونوا يوماً متعسفين ، أو باحثين عن التشفي من الخصوم، وإنما حاديهم إلى ذلك ، النصح لله - تعالى ذكره - ، ولكتابه الكريم ، ولرسوله -ﷺ- ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم ، وعودة الناس إلى الصراط المستقيم ، وتحكيم شرع الله القويم ، والابتعاد عن الشطح ، والتحريف ، والتأويل ، وسلوك طريق أهل الزيغ والضلال 0

---

[1] - ذيل تاريخ الإسلام ، ص 265 ـ وانظر: ص 266 ـ وانظر: خبر مقتل الحلاج في السير ـ 14/332 ـ والموسوعة الصوفية ـ ص 126-131

[2] - البداية والنهاية ، 13/205

[3] - الفتاوى ، 2/480